صوت النساء

February NO 304

١٢ شباط العدد ٣٠٤

صحيفة تصدر كل اسبوعين تعنى بقضايا المجتمع

2009

معاً من أجل التحرير... معاً من أجل بناء الوطن

رسالتنا...

تطوير الخطاب النسوي في اطار وطني تحرري مرتكز الى المرجعيات الوطنية، في مقدمتها وثيقة الاستقلال واعلان مبادىء حقوق المرأة الفلسطينية.

طاقم شؤون المرأة

غزة ما بعد العدوان...!

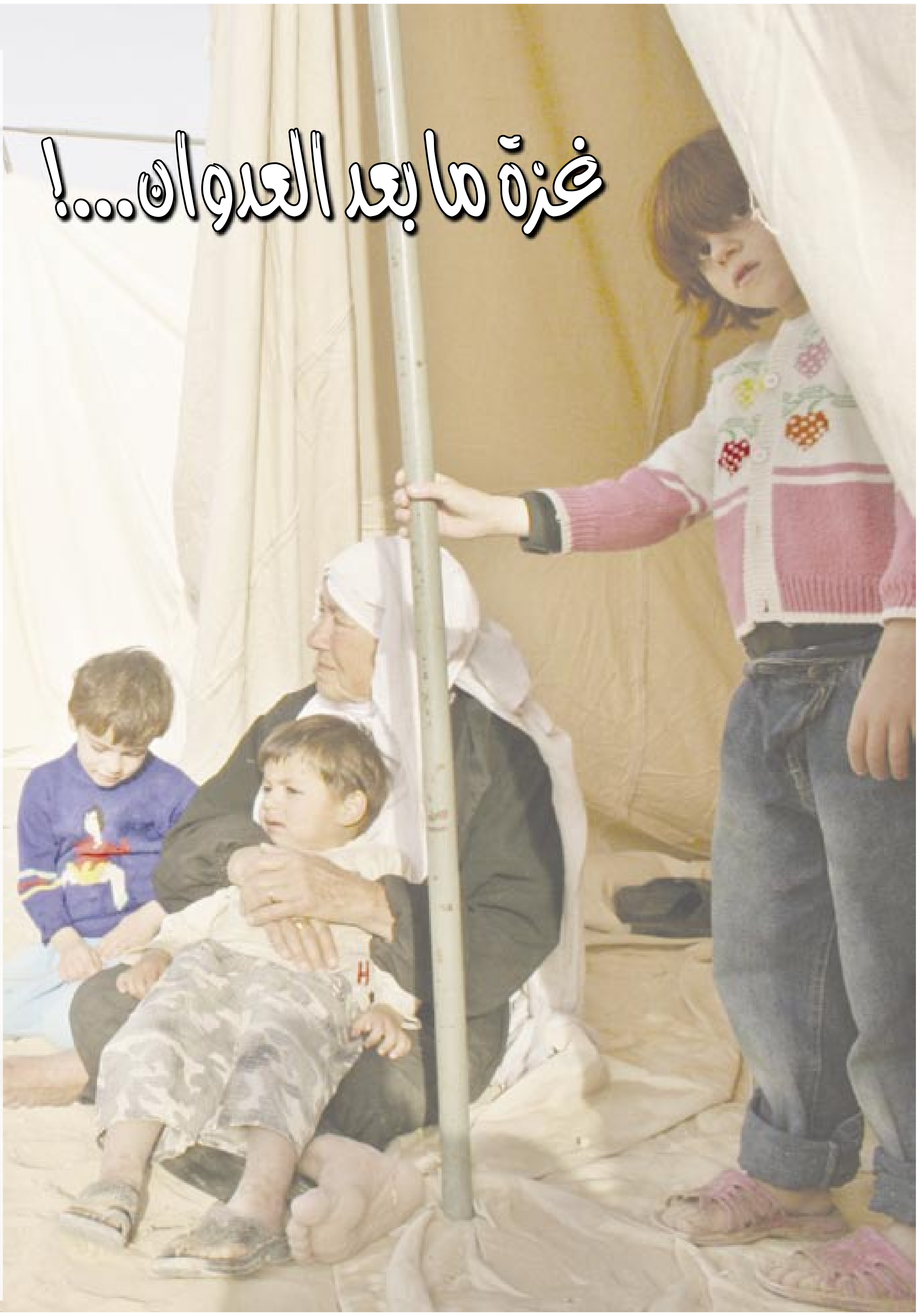

صوتنا

لأطفالنا علينا حق

أكثر من ألف وثلاثمائة من الشهداء، وخمسة آلالف من الجرحى، خلفهم العدوان الإسرائيلي الغاشم على قطاع غزة، في الفترة ما بين ٢٧ كانون الأول و١٨ كانون الثاني ٢٠٠٩. ومن يشهد القتل، والتدمير للمدارس والمؤسسات والمنازل والمنشئات، يعرف أن أي وجود لحياة عادية غير مرغوب فيه للفلسطيني، ليس فقط في غزة بل في الضفة أيضاً. من الواضح أن القصف استهدف المدنيين، وبشكل خاص النساء الأطفال منهم، حيث بلغت نسبتهم من مجموع الشهداء المدنيين ٤٤٪، ومن المصابين المدنيين ٦٢٪، كأنما الهدف من العدوان هو القضاء على جيل المستقبل، بطريقة مباشرة وغير مباشرة، فمن ينجو سيعاني من وضع نفسي يحتاج إلى وقت طويل وجهد خاص كي تلتئمَ الجراحُ التي خلفتها الجرائم الإسرائيلية.

أطفال غزة بحاجة إلى تدخل سريع، وما التبول اللاإرادي إلا مظهر واحد لخوف عميق ترسب في نفوسهم. ستواجه المدارس بأطفال قد يكونون عدوانيين أو منطوين أو غير مهتمين بالمدرسة، أو مشتتين بعد كل هذه الأحداث الجسام، وقد تكون المدارسُ غير مؤهلة لاستقبال الأطفال، باعتبار أن الكثير منها تعرض للقصف، وبعضها تحول إلى أماكن إيواء لمن وجدوا أنفسَهم دون منازل.

اليوم أكثر من أي وقت مضى نحن بحاجة إلى عودة الأطفال إلى الحياة العادية، وهذا يتطلب فتح المدارس وتهيئتها لتصبح جاهزة لاستقبال الأطفال، كما نحتاج إلى بدائل عن التعليم الرسمي تسمح بتعلم الأطفال، بخاصة المصابين منهم، والذين لن يتمكنوا من الالتحاق بالمدارس بسبب وضعهم الخاص. علينا أن نبني على تجاربنا السابقة في العمل التطوعي ولا ننتظر بالضرورة أن يأتي الأطفال إلى المدرسة كي يحدث التعليم. نحن بحاجةٍ إلى تعليم يتوجه إلى الأطفال في أماكن تواجدهم. وهذا ما ميز الانتفاضةَ الأولى حين انتقل التعليمُ إلى الأحياء، وما ميزها أيضاً أن التعليم عكس الروحَ التطوعيةَ للعمل.

علينا العمل على تمكين الأمهات اللواتي ستقع عليهن أعباء نتائج الحرب، كي يصبحن في وضع يسمح لهن بالتعامل مع أطفالهن، الذين يعانون من آثار الصدمات التي ولدتها الحرب. وهذا النوع من التدخل ضروري من أجل عودة الحياة تدريجياً إلى نصابها. علينا العمل مع الآباء ليأخذوا دوراً في الأعباء الجديدة، وفي التعامل مع ظروف ما بعد الحرب، ومن أجل أن يأخذوا دوراً في إعادة الحياة العادية للقطاع.

علينا العمل مع الفئات الشابة، وبشكل خاص الخريجات الجامعيات، ليأخذن دوراً في إعادة الحياة الطبيعية لأسرهن ومجتمعاتهن المحلية. كما علينا العمل مع الأطفال من أجل التعبير عن خوفهم ومخاوفهم بعد كل ما حدث من أحداث دمرت الشعور بالأمان لديهم.

مسؤولية إعادة الحياة العادية إلى القطاع يجب أن لا تقتصر على أهلنا في القطاع. كلنا مدعوون للعمل من أجل إعادة الحياة العادية الى القطاع، وعلينا الدفع بهذا الاتجاه مع مؤسسات حقوق الإنسان، من أجل فتح المعابر وتسهيل حركة الفلسطينيين لدخول القطاع، بخاصة أن ظروف الحرب في غزة تركت حتى العاملين في مجال الصحة النفسية بحاجة الى تدخل نفسي. وما حدث في غزة لن يؤثر فقط على أطفال غزة وحدهم، بل على كل أطفال فلسطين أينما كان تواجدهم. إن مشاهدة العنف الممارس على الأطفال، سوف يزرع الخوف والرعب والقلق في نفوسِهم وسوف يجعلهم يشعرون بأنهم معرضون لظروف مماثلة، الأمر الذي سوف يقلق ليلهم ويؤثر في نموهم وتطورهم.

لأطفالنا علينا حق. وعلينا أن نعمل جميعاً، اهالي ومؤسسات حكومية وغير حكومية، من أجل إعادة الأمل إلى أطفالنا، فهم مستقبل هذا الشعب وأمله.

طاقم شؤون المرأة

إضاءات

٩٥٢حالة ولادة طبيعية و٢٩٠ قيصرية خلال الحرب الأخيرة على غزة

غزة - تقرير ماجدة البلبيسي سمر أبو شماس

إسرائيل تهلك الأجنة قبل اكتمالها في الأرحام

نسبة الإجهاض تضاعفت خلال الحرب

د: اللوح: زيادة نسبة تشوهات الأجنة خلال الحرب

لم تقتل الحرب الشباب والشيوخ والنساء فقط، بل طالت آلة القتل الأجنة داخل أرحام الأمهات، في الأشهر الأولى من الحمل، نتيجة الخوف الشديد، الذي تعرضن له وبالتالي الأجنة، هذا ما اتضح في حالات التصوير الالترساوند للعديد من الحالات، خاصة في المناطق الساخنة، حيث من المرجح أن تكن هؤلاء الأمهات قد استنشقن غاز الفسفور والكثير من المواد السامة، الناجمة عن استخدام مواد غير معروفة وغير مسبوقة.

ووصل عدد الولادات الطبيعية خلال فترة الحرب مع نهاية شهر كانون الاول الماضي، ونهاية كانون الثاني الجاري الى ٩٥٢ ولادة طبيعية، في مقابل ٢٩٠ ولادة قيصرية، فيما زادت نسبة الاجهاض حيث سجلت ٧٢ حالة اجهاض نتيجة عامل الخوف والهلع والتعرض للفسفور.

وقال د. حسن اللوح نائب مدير أقسام الولادة ومدير العيادات الخارجية، أن المشكلة تكمن في حالات الاجهاض والولادات المبكرة وحالات النزيف والحمل الخطر، وما يرافقه من ارتفاع الضغط لدى النساء الحوامل وموت الأجنة داخل أرحام النساء، حيث شهدت هذه الفترة نسبة مرتفعة من موت الأجنة.

وقال: إن الولادات الطبيعية قلت خلال هذه الفترة نتيجة الحصار وتقسيم قطاع غزة إلى ثلاث مناطق، ما حال دون وصول الحالات، حيث وضعت العديد من النساء أطفالها داخل البيوت، إما بمساعدة أفراد الأسرة أو الاستعانة بالقابلة «الداية»، أو لدى الأطباء في العيادات الخاصة، أو المستوصفات، حيث فتحت عيادتا بيت لاهيا والعودة في جباليا أبوابهما للحالات القاطنة في المناطق الحدودية الساخنة.

واقع أليم

وذكر عدد من الأمثلة لحالات الولادة أثناء الحرب، مثلما حدث مع إحدى النساء من عائلة السموني، التي ارتكبت بحق عاءلتها مجزرة بشعة خلال الحرب، والتي وضعت جنينها داخل المنزل وحصل معها نزيف بعد الولادة.

وبين د. اللوح أنه نظراً لحالة الطوارئ القصوى التي مرت بها الطواقم الطبية خلال الحرب، فإن من المرجح أن هناك نسبة من النساء اللواتي استشهدن وهن حوامل، ولم نتمكن من التأكد من ذلك، جراء الضغوطات التي كانت ملقاة على عاتق الطواقم التي واصلت الليل بالنهار.

ويتابع اللوح: إن مشفى الشفاء الرئيسي، استقبل العشرات من الولادات الطبيعية خلال ٢٢ يوماً من الحرب، وجاءت النساء دون استعداد وتهيئة وتجهيز ملابس للمولود، حيث لم يكن حينها هناك أية إمكانية لتوفير الملابس، فجرى استعارة بعض الملابس من الحالات المتواجدة داخل المستشفى.

وقال د. اللوح: إنه رغم أن قسم الولادة يعمل بنظام الطوارئ على مدار ٢٤ ساعة في الوضع العادي، إلا أن الحالات التي شهدتها فترة الحرب لم نعهدها من قبل بالمطلق، حيث كنا نشهد على سبيل المثال ولادة نادرة داخل الإسعاف، ولكن ما حدث خلال أيام الحرب سابقة لم تسجلها أقسام الولادة من قبل.

وكشف د. اللوح عن احتمال وجود نسبة تشوه لدى الأجنة داخل الأرحام، وفق ما كشفت عنه أجهزة التصوير، وأن معدل تشوه الأجنة زاد، حيث كنا نشهد ٤ حالات تشوه شهرياً، وسجلت خلال الشهر الماضي ٦ حالات، ولا أستطع الجزم بالرقم النهائي لهذه التشوهات، ولكن من خلال متابعة أشهر الحمل زادت نسبة التشوهات نتيجة الفسفور والمواد السامة الأخرى، موضحاً أن المواد التي استخدمتها قوات الاحتلال الإسرائيلي في حربها على القطاع، والتي من المتوقع مستقبلاً أن تحدث إعاقات وتشوهات، خاصة وأن هناك نساء حوامل تعرضن للإصابات المباشرة، بعدما ثبت أن الأسلحة التي استخدمت ومن ضمنها الفسفور، إن وصلت خلايا الأنسجة يمكن أن تحدث خلايا سرطانية، وبالتالي تؤثر على الأجنة داخل الأرحام محدثة تشوهات.

ولادات مبكرة

وأوضح أن المشفى استقبل حالات مصابة بالإغماء والهستيريا، وحدثت ولادات مبكرة بفعل عامل الخوف والرعب، الذي تعرضت له النساء الحوامل، ناهيك عن وصول إصابات خطيرة لنساء أثناء الولادة، مثلما حصل مع إحدى الحالات في منطقة بيت لاهيا شمال القطاع، والتي بتر ساقاها وأجريت لها عملية قيصرية وتوفيت بعد ذلك.

وقال: إن هناك حالة أخرى حامل في الشهر الثامن، أصيبت بشظية في الدماغ واستشهدت هي وجنينها، وهناك امرأة حامل في الشهر الثامن، استشهدت مع عائلتها في منطقة الكرامة بعد استهدافهم بصاروخ مباشر.

وتحدث عن أوضاع أكثر مأساوية مما ذكر، وهي أن هناك من النساء من يعانين من عقم ثنائي لسنوات طويلة، وتم زراعة أطفال أنابيب لهن، مع ما تحمله عملية الزراعة من معاناة نفسية وصحية، وفقدن أجنتهن الثلاثة في الأشهر الأخيرة من الحمل بعملية قيصرية، نتيجة الخوف والرعب من القصف. كما فقدت امرأة أخرى توأمها الذي كانت تنتظره.

تحويل أقسام الولادة

وقال: إنه خلال أيام الحرب، حولت أقسام الجراحة بالكامل لإجراء عمليات ومعالجة الجرحى، بما فيها قسم الولادة، حيث فتحت غرف عمليات الولادة لمعالجة الجرحى، فيما جرى كذلك تحويل جزء من أقسام الولادة لاستقبال الوفود الطبية التي جاءت لقطاع غزة للمساعدة في تقديم العلاج للجرحى والمصابين.

ويكشف د. اللوح بأنه جرى تأجيل العمليات القيصرية غير الطارئة، والعمليات النسائية الأخرى، مثل استئصال الأورام وإزالة الرحم، وتم التعامل فقط مع الحالات الطارئة من الولادات الطبيعية، موضحاً أن فترة الحرب شهدت إقبالاً شديداً لحالات النزيف التي أصابت النساء الحوامل خلال الحرب، وحالات الاجهاض والهستيريا والخوف. لافتاً أنه كان يجرى استقبال من ٤٠–٥٠ حالة خلال فترة راحة الطواقم الطبية، والتي لا تتجاوز الساعتين.

وأشار أن هناك مشكلات أخرى واجهت الطواقم الطبية، وهي تقسيم القطاع إلى عدة أقسام، ما حال من وصول الطواقم القاطنة في الجنوب، خاصة الوسطى، وجرى الاستعاضة عنهم بالطواقم التي حجزت في مدينة غزة، ولم تستطع العودة لمنازلها، خاصة الممرضات النساء اللواتي قمن بالدور المطلوب منهن على مدار الساعة، وجرى فتح سكن لهن وتوفير احتياجاتهن، ولكنهن في ذات الوقت كن يعانين جراء بعدهن عن أسرهن وأطفالهن بسبب الحصار والحرب.

ولادات تحت النار

إحدى الحالات التي جاءتها آلام المخاض في اليوم الثاني من الدخول البري لقوات الاحتلال، وتدعى رندة .غ ٣٠ عاماً من حي التفاح، قالت: إنها شهدت أصعب ولادة في حياتها، حيث من المفترض أن تلد بعملية قيصرية حدد موعدها في الأسبوع الأول من الحرب، ولكن الطواقم الطبية في قسم الولادة اضطرت لتأجيل عمليتها بسبب الحرب، وعدم إجراء العملية القيصرية لها إلا بعد حدوث آلام المخاض، وقد باغتتها آلام المخاض في اليوم الثاني من إعلان الحرب البرية، حيث كانت الأوضاع على أشدها من القصف في كل اتجاه، ورفض الإسعاف نقلها للمشفى بسبب حالة الطوارئ والضغط الذي كان يواجه عمل طواقم الإسعاف، وبعد معاناة تمكن زوجها وشقيقها ووالدتها من نقلها للمشفى تحت النار، ووضعت طفلتها التي توفيت بعد الولادة مباشرة، واصفة هذه التجربة بأنها صعبة للغاية لا يمكن وصفها.

وأضافت: إنه لم تتوفر كميات من المياه الكافية لتجهيز الطفلة لدفنها، حيث واجه والدها صعوبة بالغة في توفير حفنة من المياه، وقام بالصلاة على طفلته في جامع يجاور المشفى، ودفنها لوحده في إحدى المقابر القريبة، موضحة أنها اضطرت أن تغادر المشفى في اليوم الثاني من الولادة، رغم خطورة ذلك على حياتها.

العودة للأمومة

ويكشف د.اللوح، أن هناك العديد من النساء أبدين رغبتهن في الإنجاب رغم مرور سنوات طويلة من التوقف عن الإنجاب، رغبة منهن في تعويض فلذات أكبادهن الذين فقدوا في الحرب، لا سيما وأن معظم الضحايا من الأطفال، وأن هناك أسرا فقدت أطفالها بأكملهم، ولا يوجد لديهن أمل لتخفيف حدة المصاب، إلا ببسمة طفل جديد، عله يعيد نوعاً من الحياة.

أما ن.ع التي كانت تنتظر مولودها الأول بعد ٢٠ عاماً من العقم، إلا أن طائرات الاحتلال لم ترحم شوقها للإنجاب، وهذه الحالة ليست الأولى كما قال د. اللوح بأن هناك العديد من النساء اللواتي حملن عن طريق التلقيح الصناعي وأطفال الأنابيب، وكانت بعضهن في شهر ولادتها، إلا أن حلمهن لم يكتمل، حيث تعرضن لاجهاض بسبب الهلع والخوف أو الإصابة المباشرة.

وطالب د. اللوح بإجراء دراسات حول تأثير الحرب على النساء خاصة الحوامل، وتوفير معامل ومختبرات متطورة، للكشف عن حجم وأثار الدمار الذي خلفته الحرب الأخيرة على قطاع غزة، وتأثيراتها وتبعاتها على مستقبل الأجيال القادمة.

من خلال استنكار دعوة مشعل

القيادات النسوية : لا يمكن لأحد إلغاء الهوية الوطنية المتمثلة بمنظمة التحرير

رام الله . إبراهيم أبو كامش

دعت قيادات وفعاليات العمل النسوي الفلسطيني، إلى ضرورة التحرك بشكل سريع، والإبتعاد عن ردات الفعل، والتجرد من الإنتماءات والتوجهات الحزبية والتنظيمية، والعمل معاً من أجل حماية منظمة التحرير الفلسطينية، وإعادة تفعيل أذرع المنظمة، وتحديداً مؤسساتها الجماهيرية ومنظماتها الشعبية، كالإتحاد العام للمرأة الفلسطينية، الإتحاد العام لعمال فلسطين والإتحاد العام لطلبة فلسطين، وإجراء انتخابات سريعة فيها، والعمل على الفصل بين منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية، بحيث يكون جزءاً من دور المنظمة الرقابة على أداء السلطة، والتمييز بين دور المنظمة وبين السلطة، وتحديا في الدور التمثيلي الذي تلعبه المنظمة حاليا في المحافل الدولية، والبدء بحملة إعلامية واسعة، توجه للجيل الشاب، تشير إلى كافة التضحيات التي دفعتها كافة فصائل منظمة التحرير، للوصول إلى تمثيل القضية الفلسطينية، والإعلان عن الإنجازات التي حققتها المنظمة خلال الفترة السابقة. وأكدت المؤسسات النسوية وناشطات العمل النسوي في فلسطين، أن من يحاول شطب منظمة التحرير، ويضحى بالمواطنين والأطفال والنساء ليحصل على شرعية أمام واشنطن وإسرائيل، لا يملك قوة تؤهله لشطب الهوية الوطنية المتمثلة بمنظمة التحرير، خصوصاً أنه يتحرك لشطبها بقرار إقليمي وليس وطني.

ولأن منظمة التحرير ليست قراراً من زعيم فصائلي، وبالتالي فإن القيادات النسوية أجمعت على أن الدعوة والتخطيط لاستبدال منظمة التحرير بممثل آخر، هو أخطر وأسوأ ما مر علينا، فالمنظمة هي الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني، ما يستوجب التحرك لوقف هذه المهزلة، التي لا تسعد ولا تفرح سوى إسرائيل، لذلك يجب على جميع أطياف الشعب الفلسطيني بفصائله، التحرك وبشكل عملي للحفاظ على ممثلها الشرعي م ت ف، والذي جاء بعد أكثر من أربعة عقود من النضال وسقوط آلاف الشهداء.وشددت الكادرات والقيادات النسوية، على ضرورة التحرك وبخطوات عملية للدفاع عن الكيانية والهوية الوطنية الفلسطينية، والعمل من أجل حماية منظمة التحرير ومشروعها الوطني، وأن نعمل على تفعيلها، خاصة وأن هدمها وفقاً لتصريحات مشعل، سيشكل وابلاً من الدمار على شعبنا وقضيته الوطنية، ومؤامرة على تضحياته. رئيسة الإتحاد العام للمرأة الفلسطينية سلوى أبو خضرا أعربت عن استهجان واستغراب واستنكار الأمانة العامة للإتحاد العام للمرأة الفلسطينية، لدعوة رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل، بإنشاء مرجعية بديلة عن منظمة التحرير الفلسطينية، التي حظيت باعتراف العالم بأسره، عبر سنوات النضال والكفاح الثوري الفلسطيني. وقالت: "لم تكتف حركة حماس بتقسيم الوطن سياسياً وجغرافياً الذي أدانه أبناء شعبنا، بل هي الآن تسعى إلى تعزيز هذا الإنقسام، من خلال ما عبرت عنه دعوة مشعل، بدلاً من الشروع في إعادة اللحمة للبيت الداخلي الفلسطيني، خاصة بعد العدوان الإسرائيلي الإجرامي على غزة، وارتكابه المجازر وعمليات الإبادة الجماعية، التي كان ضحيتها الأطفال والنساء والشيوخ".

وتعقيباً على دعوة مشعل، قالت أبو خضرا: "لنا قيادة واحدة وشرعية واحدة، هي منظمة التحرير الفلسطينية، إلى أن تقوم الدولة الفلسطينية ذات السيادة وعاصمتها القدس الشريف، وتحقيق تقرير المصير والثوابت الوطنية وعودة اللاجئين". وفي الوقت نفسه قالت: "هناك سعي جدي لإنهاء الإنقلاب العسكري الحمساوي على الشرعية الفلسطينية والسلطة الوطنية"، ولكنها حذرت من أن الإنقلاب الأخطر هو ما دعا إليه خالد مشعل بالإنقلاب على منظمة التحرير الفلسطينية، التي تعبر عن توافق النسيج الشعبي الفلسطيني، مشددة على عدم الإنتباه إلى مثل هذه الدعوات، والعمل على وحدة شعبنا على قاعدة وثيقة الأسرى، وإتاحة المجال لانضمام كل من يرغب بقافلة منظمة التحرير المناضلة، التي لا عودة عنها مطلقاً، "فهي هويتنا، فيكفينا مآسي وتشرد وظلم، وكان حري بمشعل في هذا الوقت العصيب على شعبنا، أن يعلن انضمامه إلى منظمة التحرير، وينهي انقلابه العسكري على الشرعية في غزة، والبدء بحوار وطني غير مشروط، وإعادة تصويب مسيرة المنظمة، وإكمال ترميم البيت الداخلي، من خلال تفعيل المجلس الوطني والمنظمات الشعبية".

استهداف للنضال الوطني

رئيسة جمعية المرأة العاملة للتنمية آمال خريشة تقول: "إن دعوة رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل إلى تشكيل مرجعية بديلة عن منظمة التحرير الفلسطينية، هو استهداف للنضال الوطني الفلسطيني المتراكم عبر مراحل طويلة، وهو أيضا تطاول على الهوية الوطنية التي فرضها أبناء شعبنا عبر مسيرة ثورته وتضحياته وآلامه وتشرده ودمائه". وترى خريشة أن هذه الدعوة هي تكريس للإنقسام الداخلي الجغرافي والسياسي، وتصب في عمق الأجندة الإسرائيلية المعادية لتطلعات شعبنا في الحرية والاستقلال وتقرير المصير، وبالتالي تفتيت بعدها السياسي والجغرافي، ومن المؤسف أن هذه الدعوة تأتي في الوقت الذي ما زالت تسفك فيه الدماء الفلسطينية وتسيل دونما انقطاع في غزة، وفي ظل محاولات إسرائيل تكثيف جهودها للاستفادة السياسية، وفي الوقت الذي تعلو فيه الصرخات والدعوات من قبل كل قطاعات شعبنا للتوافق الوطني ووضع حداً للانقسام".

مؤكدة أن أهم الأهداف للعدوان على قطاع غزة هو تصفية القضية الوطنية، وإمكانية إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة وعاصمتها القدس الشريف. لذا أعربت خريشة عن استهجانها من دعوة مشعل، التي أكدت بأنها مرفوضة وتشكل كارثة للمسار السياسي الفلسطيني.

وبالمقابل دعت خريشة إلى إعادة تفعيل منظمة التحرير الفلسطينية، والعمل باتجاه استيعاب كل قوى العمل الوطني وأقطاب الحركة الوطنية، والتوقف الفوري من كل الأطراف عن التلويح باستخدام منظمة التحرير كأداة ضغط على الطرف الآخر، وتركها بمنأى عن التجاذبات السياسية، واللجوء إليها باعتبارها البيت الذي يجمعنا ويوحد صفوفنا، باعتبارها الممثل الوحيد لشعبنا في كافة أماكن تواجده، وتشكل العنوان وقسمات ملامح القضية الوطنية. وقالت: "لن يستطع أحد بأفق سياسي ضيق القضاء على مسار نضالي تراكمي لشعب بأكمله".

من جهتها اعتبرت النائب في المجلس التشريعي خالدة جرار، تصريحات مشعل بالخاطئة، مؤكدة رفضها لها، لأن المنظمة هي الهوية والكيانية التي تم انتزاعها عبر سنوات النضال الطويلة لشعبنا وقواه الوطنية، مؤكدة أنها الممثل الشرعي والوحيد لشعبنا. وقالت: " نحن ضد كل من ينكر المنظمة وإيجاد مرجعيات أو بدائل لها، وفي الوقت نفسه ضد كل من يحاول استخدامها للتغطية السياسية التفاوضية، مؤكدة أن المدخل لحماية المنظمة، هو بإعادة إصلاحها وبنائها وفق إتفاق القاهرة (٢٠٠٥) وما تبعه من آليات في وثيقة الإتفاق".

بدورها تقول عضو اللجنة التنفيذية في الاتحاد العام لعمال فلسطين، مسؤولة دائرة المرأة فيه آمنة الريماوي، إن الموقف النسوي من دعوة مشعل لا يختلف عن الموقف الوطني العام، بأن منظمة التحرير الفلسطينية، هي الممثل الشرعي والوحيد لشعبنا في كافة أماكن تواجده في الداخل والشتات، مؤكدة أن كل محاولات الإنقسام والبدائل التي شهدتها الساحة الفلسطينية على مدار ٤٠ عاماً من جبهة رفض أو إنقاذ باءت بالفشل، ولن يكون مصير دعوة مشعل بأفضل منها وستؤول هي الأخرى للفشل الذريع. ولا مكان للمزاودة على نضال وتضحيات منظمة التحرير الفلسطينية، بمكوناتها من فصائلها الوطنية المقاومة، ومنظماتها الجماهيرية واتحاداتها الشعبية، فهي مارست على مدار سني نضالها وكفاحها، كافة أشكال النضال، إلى أن استطاعت انتزاع اعتراف العالم بها كممثل شرعي ووحيد لشعبنا، وأما العدوان على غزة فإن المتضرر الأول والرئيسي فيه هو شعبنا الفلسطيني وبالذات المرأة الفلسطينية. وترى الريماوي أن الرد العملي والفعلي على دعوة مشعل، يجب أن يتمثل بالتمسك وتعزيز الالتفاف حول منظمة التحرير، ورد الاعتبار إلى هيئاتها ومؤسساتها وللميثاق الوطني، وعقد المؤتمرات وإجراء الانتخابات على قاعدة التمثيل النسبي وبشكل ديمقراطي، وتحقيق مشاركة نسوية فاعلة وجدية في هيئات المنظمة، وإعادة بنائها ودعوة كافة فصائل وقوى العمل الوطني للمشاركة بدون قيد أو شرط، فمن يريد الإصلاح والعمل لا يضع شروطاً لانضمامه أو عمله.

مهمة وطنية

أما رئيسة جمعية العمل النسوي سهام البرغوثي، فإنها لم تختلف في دعوتها عن زميلاتها السابقات، فدعت إلى إعادة هيكلة مؤسسات المنظمة وتفعيلها، مؤكدة أن هذه المسألة غاية في الأهمية ومهمة وطنية من الطراز الأول، وضرورة إيلاء إهتمام كبير للمنظمة، حتى يمكننا المحافظة على كينونتها، محذرة من التعامل بردود الأفعال المتسرعة وغير المدروسة على دعوة مشعل، أو غيرها من الدعوات، وقالت إن المنظمة أكبر من عمليات المس بوحدانيتها.

هل تحتاج المقاومة إلى منظمة بديلة؟

عبد الغني سلامة

في السنوات الأولى من عمر الثورة الفلسطينية، كان العمل العسكري في تلك المرحلة المبكرة من النضال متقدماً على العمل السياسي، وكان الخطاب السياسي يتسم بالرفض والتشدد وتطغى عليه الشعارات، وهذا أمر طبيعي، ليس لأن قوى منظمة التحرير كانت آنذاك في مرحلة جنينية من النضج السياسي، بل لأنها كانت ترى أن العمل السياسي لا بد أن يسبقه فعل عسكري على الأرض ليسنده ويدعمه، وكانت تعتبر نفسها في مرحلة تتطلب إبراز الثورة وتثبيتها وانتشارها شعبيا، وقد وضعت لنفسها هدفاً سياسياً استراتيجيا، وهو بلورة الكيانية الوطنية الفلسطينية وانتزاع اعتراف العالم بها وبحقوق الشعب الوطنية والسياسية، كوسيلة أساسية ومحورية في معركة التحرير.

وبما أن أي مرحلة تاريخية عادة ما تستدعي أدواتها الملائمة للعمل، استناداً للهدف السياسي المرفوع، وطالما أن هدف القوى الفلسطينية التي كانت تخوض النضال فعلياً هو انتزاع اعتراف العالم بالهوية الوطنية للشعب الفلسطيني وبحقوقه السياسية، فإن هذا الأمر سيحتاج إلى كيان سياسي ليعبر عن هذا الهدف، وليمثل الشعب في معاركه الكفاحية ويقوده نحو تحقيقه، ومن هنا جاءت منظمة التحرير الفلسطينية بعد سنوات مريرة من الكفاح المسلح والعمل السياسي الدءوب وبعد تضحيات جسيمة، وقد صارت هذه المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب، وصارت بمثابة الوطن المعنوي والكيانية السياسية للكل الفلسطيني في الوطن والشتات، وباتت تحظى بما يشبه الإجماع الشعبي، وقد اعترفت بهذه الحقيقة أكثر من ١٢٠ دولة، الأمر الذي مكنها من اختراق الأمم المتحدة ومن دخول كافة المنظمات والهيئات الدولية.

وهكذا، بالجهد والدم وبالتضحيات الغالية، استطاع الشعب الفلسطيني وعبر قواه الفاعلة وفصائله المقاتلة من تحقيق هذا الإنجاز التاريخي والأهم، ليس في تاريخ الشعب الفلسطيني المعاصر وحسب بل وفي تاريخ المنطقة بشكل عام، ومع هذا فلا أحد ينظر للمنظمة على أنها هدفاً بحد ذاته، أو أنها صنماً يُعبَد، بل هي الإطار العام الذي يوحّد قوى الثورة ويصهرها في بوتقة واحدة، وهي الأداة الرئيسية في صراع الشعب التاريخي مع الاحتلال، وهي البيت الذي يجمع شتات الشعب، وهي الصورة التي من خلالها يرى العالم فلسطين، ومن خلالها تنفذ فلسطين إلى قلب العالم وسمعه وبصره، وهي الوسيلة التي تجمع أدوات الكفاح الوطني وتصبها في معركة تقرير المصير. اليوم يحاول خالد مشعل القفز عن هذه الحقائق بكل خفة وإنشاء منظمة بديلة، فإذا كان يظن أنه بذلك إنما يكرر تجربة فتح حينما دخلت منظمة التحرير وسيطرت عليها بعد انتصارها "الحقيقي" في معركة الكرامة، فقد فاته أن المرحلة التاريخية اليوم مختلفة بالكامل عن الأمس، وأن هدف فتح حينها كان تحرير المنظمة من الوصاية العربية وضخ الدماء الفدائية في شرايينها، في حين أن مغامرة مشعل ستؤدي إلى فرض الوصاية (العربية والعجمية) من جديد على المنظمة، فضلاً على أن الحرب الغاشمة على غزة وطريقة تعاطي حماس معها، قد أدت إلى حصر المقاومة في شكل واحد "الصواريخ" ومصادرة كل الأشكال الأخرى، الأمر الذي قد يؤدي إلى سد الآفاق أمامها، سيّما بعد اتضاح معالم التهدئة التي ستقبلها حماس وستفرضها على حلفائها، وفاته أيضاً أن نتيجة خطوة فتح التاريخية آنذاك، قد أدت إلى فتح كل المحافل الدولية أمام القضية الفلسطينية وعلى أوسع نطاق، في حين أن ما يجري الآن هو تقزيم القضية واختزالها في معركة "معبر رفح". ويبقى السؤال مشرعا: لماذا يسعى مشعل حالياً إلى إنشاء منظمة بديلة؟!

وقبل أن نشرع بالإجابة لا بد أن نسلّم بأن حماس ومن قبلها جماعة الإخوان المسلمين، لم تعترف يوماً بالمنظمة كممثل شرعي ووحيد، وقد ناكفتها طويلاً واتهمتها بالتفريط والاستسلام، حتى وهي في أوج عنفوانها العسكري! وكان هذا السجال في سياق موقف أحزاب الإسلام السياسي من القوى الوطنية التي طالما اتهمتها بالعلمانية والكفر، وفي سياق الدور الوظيفي لجماعة الإخوان وفي إطار رؤيتهم للصراع وأدوات حله وطريقة إدارته، بغض النظر عن موقف قوة منظمة التحرير، ومهما كان متجذراً ومتقدماً، لأن خلافها السياسي معها يتموضع في ساحات الصراع الفكري والعقائدي والأيديولوجي، قبل أن يدخل حلبة الصراع السياسي.

فالبرنامج السياسي المعلن لحماس لا يختلف في جوهرة ومضامينه ونتائجه عن البرنامج السياسي لمنظمة التحرير، وقد صرح مشعل في أكثر من مكان أن على إسرائيل أن تتفاوض معه لأنه الأقدر على الالتزام بالاتفاقات، بدلا أن تضيع وقتها بالتفاوض مع محمود عباس الذي وصفه بالضعيف! وهذا يعني أن مشعل يسعى لتكريس نفسه كزعيم على الشعب وبأي طريقة ومهما كان الثمن، أو أنه يخدم الأجندة الإيرانية التي وصف رئيسها "بولي أمر المسلمين".

إيران تدرك ككل القوى الإقليمية الأخرى في المنطقة، قيمة وأهمية منظمة التحرير، وتعي أهمية الإمساك بالورقة الفلسطينية واحتوائها والهيمنة على القرار الوطني الفلسطيني، وتدرك أنه سيصيبها الفشل في هذا المسعى كما أصاب سوريا من قبلها، وذلك بسبب الموقف الصلب والمتجذر لحركة فتح، ومن هذا المنطلق تدير حربها الإعلامية ضد المنظمة وضد السلطة الوطنية وضد فتح، وتسعى لخلق منظمة بديلة تستطيع من خلالها تحقيق ما عجزت عنه من قبل.

أما المقاومة التي يدعي مشعل أنه يسعى لإيجاد جسم بديل يؤمن لها الحماية والتمثيل السياسي، فإذا كان هذا هدفه فعلاً، فالأجدر به أن يحميها في مؤسسات منظمة التحرير التي تستطيع استيعاب كافة القوى والاتجاهات، والتي في ظلها خاضت الفصائل الوطنية كفاحها المسلح وما زالت تخوضه بنفس الروح، صحيح أن منظمة التحرير بعد كل هذه السنين أصاب هياكلها الوهن واعتراها الضعف، وهي بحاجة ماسة للإصلاح، ولكن الإصلاح شيء مختلف تماماً عن خلق البدائل التي ستهدم البناء وستقوض كل الإنجازات، وستجعل من المقاومة نفسها مسألة عدمية لأنها باتت بلا أفق سياسي، وستضع المشروع الوطني أمام حائط الفشل بسبب تشتيت التمثيل السياسي وتشظي الكيانية الوطنية.

حرب الثلاثة أسابيع

أفلام رعب حقيقة تنعكس آثارها على مستقبل الأطفال والنساء

غزة - حنان أبو دغيم

أشلاء متناثرة على أرصفة الطريق الذي انهالت عليه قذائف الدبابات، ولم ترحم هالة وأسرتها وغيرهم من المدنيين، الذين خرجوا من منطقة عزبة عبد ربه، حاملين رايات بيضاء، هرباً من الموت الذي اجتاح عقر دارهم وأملا في النجاة. وصلت هالة وأسرتها إلى مدرسة الفاخورة في جباليا كآلاف النازحين، لكن صاروخاً لحق بما تبقى من أمن في نفسها، وقضى عليه كعشرات الشهداء الذين تأبى صورهم الممزقة كاجسادهم، أن تفارق ذاكرة هالة، فأصبحت كابوساً يلاحقها ليل نهار.

قطعوا رأسها

عندما بدأت الحديث مع هالة التي لم تتجاوز بعد التسع سنوات، لم تتحدث كثيراً حتى بدأت بالبكاء وهي تقول: «أنا شفت صاحبتي من غير رأس، كانت مرمية على الأرض وكلها دم، حتى كانت لابسة جزمتها الجديدة زي جزمتي، ما إحنا شريناهم على العيد مع بعض، بس أنا جزمتي انهدمت عليها الدار، وحتى أواعي العيد ضاعوا ومريول المدرسة».

تفقدت هالة الكثير من أشيائها، وبدأت تعددها وتردد عبارة: «كل إشي ضاع وين بدنا نروح؟» ثم تغرق في موجة بكاء بصوت خافت مخنوق كانفاسها، التي لم تعد طبيعية بعد استنشاقها نسبة من الفسفور الأبيض، الذي استخدمته اسرائيل بكثرة في منطقة سكن عائلة هالة.

اتخذت هالة ركناً في منزل أحد الجيران، الذي لجات العائلة إليه، واستمرت في البكاء وهي تحمل كتابها المدرسي. أشارت إليها والدتها وقالت: «منذ بدأت الحرب هدم منزلنا في الأيام الأولى، وهالة على هذه الحال لا تنام لا ليلاً ولا نهاراً، تبكي باستمرار وتتفقد ركام البيت».

وتضيف: «حتى عندما تغفو ليلاً من شدة التعب، تستيقظ بعد أقل من نصف ساعة، وتبدأ بالصراخ وهي تقول قطعوا رأسها يا أمي، في إشارة إلى جثة صديقتها التي رأتها ملقاة في الشارع».

بدأت هالة تعاني إضافة إلى البكاء الليلي من التبول اللاإرادي، ما اضطر والدتها إلى استخدام حفاظات من قطع الملابس البالية لها، حيث تقول والدتها: «طبعاً لما تعملها كل ليلة ما بقدر أغير لها ملابسها كل يوم، لأن كل ملابسها تحت أنقاض البيت، والدنيا شتاء وبرد، صعب أتركها من دون غيار، وهذا شيء سبب لي أرقاً وتعباً وضغطاً على أعصابي».

حرب على النفوس

بعد أن عاش الفلسطينون مآسي ثلاثة أسابيع من الحرب، ما زالت مئات الصور في ذاكرتهم تفجع القلوب، فالحرب نهشت في كافة تفاصيل حياتهم، ولم تترك شيئاً على حاله، خاصة وأن إسرائيل لم تتوان في شن الحرب النفسية على نفوس الغزيين، خاصة أطفالهم ونساءهم.

تقول أم جهاد المصري: «طوال عمرنا ونحن نعيش في بيت حانون، نتعرض للاجتياحات والقصف والدمار، لكننا لم نر ما عشناه هذه المرة».

تجاوز عمر أم جهاد الخمسين عاماً، فقدت أحد أبنائها في اجتياح المدينة قبل نحو عامين، والآن تمكث ابنتها الكبرى في المستشفى، بعدما بترت قذيفة اسرائيلية يدها اليسرى، ما تسبب لها بصدمة نفسية كبيرة، تحدثت عنها أم جهاد فقالت: «بنتي ليست صغيرة، عمرها تجاوز الثلاثين، ومع ذلك عندما تستيقظ تحرك اليمين، وتنظر إلى يدها الشمال عندما تحركها وتجد نصفها مقطوع، تبدأ بالصراخ وتشد شعرها ولا تنام الا بالمهدئات». بدأت أم جهاد هي الأخرى في البكاء المتواصل، وهي تناجي الله وتقول: «يا رب أنا ايش ذنبي، ابني مبارح يضيع مني، واليوم بنتي اذا كتبتلها عمر حتعيش معاقة ونفسيتها مريضة، يا رب رحمتك يا رب الصبر من عندك». تركنا أم جهاد لا تقو على الكلام، تغرق في دموع عينيها اللتين تنظران لابنتها على سرير المستشفى. وفي الغرفة نفسها على سرير آخر كانت وهيبة عبدو تغط في نوم عميق، ليس راحة، بل بعد إبرة مهدئة حقنها بها أحد الممرضين، لكن ابنتها الكبرى سيرين تحدثت عن وضعها فقالت: «استشهدت اخواتي الثلاثة، وأبي مصاب، وأمي صحيح أن جرحها بسيط، بتروا أصابعها بعد ما انحرقت بالفسفور، لكن جرحها النفسي أكبر».

وتضيف: « كأنها كانت تشعر بما سيحصل قبل قصف البيت، كانت تواصل الصلاة وتبكي وتقول يا رب سلم أولادي، لكن ربنا أخذهم عنده، إسرائيل لم ترحمنا، كان الأطفال يبكون طول الوقت من الخوف، حتى نحن الكبار، الحرب النفسية كانت ألعن من الحرب العسكرية، كنا ننام ونحن نتخيل من أين ستأتي القذيفة أو الصاروخ سينفجر في أي غرفة».

نظرت إلى أمها وقالت: «ما ذنب هذه المرأة العجوز؟ ربت أولادها الشباب لعشرين سنة، وفي لحظة يضيعوا.. حسبي الله ونعم الوكيل».

زرعت والحرب حصدت

كنت أعتقد أن قصة وهيبة آخر ما قد نصل إليه من قصص مؤلمة، لكني فوجئت بأكثر منها ألماً وحسرة، تمثلت في الحاجة أم ساري، التي فقدت ولديها وابنتيها مع زوجيهما وأولادهما. كانت أم ساري تجلس على كومة من الحجارة أمام منزلها، الذي تعرض أحد أدواره لقذيفة فحرقت الشقة العلوية بأكملها. في البداية رفضت أم ساري الحديث وقالت: «هل الصحافة ستعيد أبنائي أو بناتي أو بيتي؟!».

لكنا اقنعناها بضرورة أن يصل صوتها للعالم فاكتفت بالقول: «عمري كله أمضيته أربي في شباب وبنات زي ورد هالأرض المجرفة، خمسة وثلاثون سنة، انا أحوش حتى بنيت هذا البيت، وفي النهاية راح البيت وراحوا الأولاد، ولم يبق غير الهم والحسرة». استمرت أم ساري في العويل والبكاء والنواح، ولم تستطع أن تكمل الحديث معنا الا بكلمتين: «طوال عمري وأنا أربي وأزرع، وفي النهاية الحرب حصدت لحمي وزرعي».

تحذيرات

ثلاثة أسابيع من الحرب، لم ترحم فيها آلة الموت أحداً حتى الأطفال، سقط المئات منهم بين شهيد وجريح، ومن نجا فستظل صور الحرب تلاحق ذكرياته وتستوطن مشاهد الموت أفكاره، فبينما تصارع النساء بصبرهن والأطفال ببرائتهم مظاهر الموت من حولهم، بعدما اغتيلت براءتهم وحرق ربيعهم، تتواصل التحذيرات من مغبة تفاقم أوضاعهم النفسية والصحية والإنسانية، وانعكاسات الأمر على كامل مستقبلهم.

وحسب تأكيدات المختصين، فإن حاجة أطفال غزة للدعم النفسي لا تقل أهمية عن حاجتهم للغذاء والمواد الطبية، خاصة وأن ما يوصف «باضطراب ما بعد الأزمة»، يغير من الفسيولوجيا لدى الأطفال، ويؤدي إلى خلل في الهرمونات والمستقبلات العصبية، وهو تغيير تشريحي في الدماغ، ينتج عنه عدم تطور الدماغ بشكل مناسب، وأن بعض الدراسات البيولوجية أثبتت أن منطقة في الدماغ تسمى «هيبويومبس»، لا تنمو ويصبح بها ضمور وهو أمر خطير.

وحسب حديث صحافي للطبيب النفسي إياد السراج، مدير مركز غزة للصحة النفسية، فإن كثيراً من الأطفال، باتوا يعانون من التبول اللاإرادي والتلعثم في الكلام والأرق عند النوم والتحول إلى العنف وفقدان الشهية.

قتل العديد من أفراد أسرتها في الحرب الأخيرة

فراق أهلها قبل أربعين عاماً لم يمنع استمرار مأساتها

نابلس - حنين السايح

كثيرة هي المآسي التي ما زالت تجمع الفلسطينيين وتحكي معاناتهم، ولم يكن غير الاحتلال سبباً رئيساً لهذه المآسي، فهو من قتل ثم هجّر ثم شرد ثم هدم، وما زال يستولي ويصادر ويقتل، في كل بقاع هذه الأرض الفلسطينية.

ورغم المسافات الكبيرة بين مدينة نابلس شمال الضفة الغربية وقطاع غزة، إلا أن مأساة أم عمر ما زالت عالقة، وما زالت تكرس العنف والإجرام الإسرائيلي ضد شعب أقرت كل الشرائع الدولية أنه أعزل، ويدافع عن أرضه ووطنه الذي سلب منذ سنوات.

وبدأت معاناة أم عمر التي تزوجت قبل قرابة أربعين عاماً، وانتقلت من قطاع غزة لتسكن إلى جانب زوجها وأسرتها في مدينة نابلس، منذ أن حوصر قطاع غزة قبل سنتين ونيف، ومنذ بداية العدوان والحرب الإسرائيلية على غزة.

تشتت أهلها

وتعد أم عمر التي دخلت عقدها الستين كغيرها من النساء الفلسطينيات، اللواتي قدمن كزوجات من قطاع غزة إلى الضفة الغربية، فلم يكن هناك فرق بين الضفة الغربية وقطاع غزة، حين كانت الطرق مفتوحة بينهما، لكن أبى الاحتلال ومع قدوم انتفاضة الأقصى مطلع العام ٢٠٠٠، إلا أن يقطع أواصر المناطق الفلسطينية ويشتت أهلها.

وفي حديثها لصوت النساء قالت أم عمر: «تزوجت العام ١٩٧٠، وكان عمري أربعة عشر عاماً من ابن خالتي في مدينة نابلس، ورزقني الله ثلاثة من الأبناء، وكنت أذهب لزيارة أهلي في القطاع مرتين في السنة الواحدة، ومنذ انتفاضة الأقصى لم أزرهم إلا مرة واحدة بسبب فصل الضفة عن غزة، وتقطيع الاحتلال للمدن والبلدات الفلسطينية وإقامة مئات الحواجز بينها».

لكن أم عمر لم تيأس من رؤية أقربائها وأبنائهم، فكانت تتواصل معهم عبر الهواتف، وكان أهلها في القطاع يرسلون لها صور الأقارب لتتعرف بدورها عليهم، وكي لا تتفاجأ حين تراهم وقد كبروا، ولم تعرف أن رصاص الاحتلال ربما يكون هو الأقرب عليهم من أي شيء آخر. وأضافت أم عمر «لدي سبع شقيقات وثلاثة أشقاء وأربعة أخوال وثلاث خالات، جميعهم يسكنون في مدينة غزة ومدينة خانيونس».

وبدأت معاناة أم عمر تزداد حين أعلن جيش الاحتلال الإسرائيلي حربه على قطاع غزة، وأخذ يضرب بصواريخه وقنابله المتفجرة منازل وأحياء بالكامل، دون رأفة أو رحمة بشيخ أو طفل أو امرأة. وأكدت أم عمر أنها فقدت شقيقها وابنه وزوجته في أوائل القصف على غزة، لكن الفاجعة الكبرى كانت حينما رأت شقيقتها مضرجة بدمائها وملقاة على الأرض وجسدها ممزق إلى أشلاء، جراء قوة القصف الإسرائيلي، لكنها لم تصدق ذلك إلا حينما أكد مذيع التلفاز أن هذه العائلة هي بالفعل عائلة شقيقتها وابنها وزوج ابنتها.

رأت أختها لكن.. ميتة

وتابعت أم عمر: «تمكنت من رؤية أختي أخيراً، لكن هذه المرة كانت ميتة، وكانت عيناي تسترق النظر عبر شاشات التلفاز، لأرى أحداً من أقربائي لم ينل منه قصف المحتلين بعد، لكنني لم أفلح في ذلك».

وأردفت تقول: «كما استشهد ابن أخي وأبناؤه الثلاثة، أثناء فرارهم من منزلهم إلى مدرسة الوكالة القريبة، عندما قصف الاحتلال دراجة هوائية كان يستقلها أحد المارة». وظلت أم عمر تتابع مأساة أهلها عبر القنوات الفضائية والاتصال بالهاتف، كلما سنحت لها الفرصة، وروت لنا قصة شقيقتها المقعدة وقد اغرورقت عيناها بالدموع وقالت: «حتى أختي المقعدة لم تسلم من القصف، فبقيت هي وحفيدتها ابنة السبع سنوات تحت الردم لمدة يومين بحالة خطرة جداً، حيث تم انتشالها من بين الركام، وما زالت حتى اليوم على أسرة الشفاء بمستشفيات غزة تتلقى العلاج».

أم عمر رغم ما ألم بها من حزن، إلا أنها لم تستطع بعد أن تقدم لمن تبقوا من أسرتها في قطاع غزة سوى الدعاء لهم، والاطمئنان عليهم بين الفترة والأخرى، لتقول لهم اصمدوا فإن موعدكم مع النصر قريب.

أطفال أكلتهم الحرب ونساء حصدت النار قلوبهن

منى: لن أصبح أستاذة رياضيات في يوم من الأيام

نسمان: نسبة الإعاقة حالياً عشرة بالمئة

نجوى شمعون

ليس كما في قصة جميلة والوحش، وليس بأمير مسحور، إنه دبابة وطائرة حربية تطلق الموت في كل مكان، تغتال براءتهم وتترك الأحياء مبتوري الأطراف في مصير مجهول، جميلة تلعب هي وإخوانها وأقاربها، يتحولون في لحظة إلى فراشات، وبعضهم يفلت من الموت بأعجوبة البقاء، ليس كما نعتقد في القصة أمير وأميرة وحب وسلام، إنها قذائف تمزق الأطفال وتقذفهم للبعيد أشلاء، وقلوبا ممزقة.

لعبة الأطفال تحولت لقذيفة

أطفال أرادوا أن يهادنوا الحرب ليلعبوا، ألحت طفولتهم عليهم فلعبوا، جميلة الهباش (١٠ أعوام) من سكان حي التفاح وسط مدينة غزة قالت: «كنا نلعب بالكرة مع أبناء عمي وإخواني على سطح المنزل، المكون من أربعة طوابق، استهدفتنا مدفعية جيش الاحتلال بقذيفة سقطت علينا، لتحول ضحكاتنا لصرخات، وتناثرت الأشلاء على أسطح المنازل المجاورة، واستهدفتنا بقذيفة أخرى. سقطت أختي شذا (١٠ أعوام)، وأصيب خمسة أطفال بجروح مختلفة، وبترت الأطراف السفلية لاثنين منهم، لم تكن سوى لعبة تحولت بعد دقائق لمعركة وأرض دامية. جميلة التي لا تصدق ما حدث، أضافت بعيون تحمل الألم بكبرياء وردة: «كنا ننام بأمان في الأيام السابقة، وكنا نلعب كل يوم على سطح المنزل، فلماذا قتلوا أختي وأصابونا جميعا بقذائفهم؟». وتابعت جميلة: «أتمنى أن تنتهي الحرب لأعود لألعب مع أختي وأبناء عمي»، تنهدت بحسرة، «لن أستطيع تقبل الأمر بأن شذا قد ماتت هناك ولن تعود».

جميلة تخاف من ابتعاد أسرتها عنها، خاصة بعد فقدان شقيقتها وإصابة أبناء عمها، فباتت تسأل أمها عن أبيها الذي ترك المستشفى لبعض الوقت لشراء الدواء، فيما جميلة تحاول أن تغمض عينيها، فهل تنام الطفلة كالسابق دون أن تفزعها أصوات الصواريخ أو قذائف الدبابات؟ هل تنام الطفلة دون أن تداهمها صورة شذا وصراخها قبل استشهادها؟ وفي سفرها للعلاج في السعودية، هل ستعود الطفلة جميلة دون وجع الحرب وطبولها؟.

منى الأشقر (١٨ سنة) «تتكوم» في سريرها في المشفى كطفلة صغيرة، تحاول أن تختبىء من الصحافيين ومن عيون الكاميرا، تتستر بالغطاء لعله يحميها من عيون الفضوليين ويخفي ما فقدت أثناء الحرب، أعمارنا تكفي لنستوعب فداحة الحرب وبشاعتها حين تأكل أطفالنا، أو تحرقهم أحياء، كانت كلماتها مغمسة بالألم، بدأت حديثها: «أخي محمد التهمته النيران، عمره خمس سنوات، فهل أخي من أشعل الحرب؟!».

الملجأ الأخير..

تابعت: «كنا في بيتنا، عندما اشتد الضرب علينا هربنا إلى بيت عمنا نلتمس الأمن، لكنهم لاحقونا، أينما ذهبنا كان الموت يدنو منا، يتفرس وجوهنا ويضحك، فهربنا إلى مدرسة بيت لاهيا، لكنه الموت المتربص بنا لاحقنا، هناك أيضاً قصفت المدرسة ملجأنا الأخير، ففقدت ساقي ويدي وأيضاً لم اسلم من حروق في جسدي، كنت في غرفة بالمدرسة لكنها الطائرة اللعينة ألقت حقدها علينا، أولاد عمي «خمسة أعوام وسبعة أعوام قتلوا في الحرب». وأكملت منى: «كنت أتمنى أن أعيش مثل البنات، وأن أصبح يوما ما أستاذة رياضيات»، وتمنت أيضاً أن ترجع كما كانت فراشة. أما الأم المكلومة فكانت تتمنى ما لا تعتقده ابنتها، ولا يفكر به أحد، خاصة وأنها مريضة لا تقوى على رعاية منى وأشقائها، فقالت: «تمنيت الموت لابنتي لأجنبها هذا العذاب ومستقبلا لا يشي بعودتها كما كانت، ليس من السهل علي أن أتمنى الموت لابنتي، لكن سيكون الموت أرحم من حياة ستكون عاجزة فيها عن مساعدة نفسها، خاصة في مجتمع ليس فيه مناخات للمعاق، توفر له الراحة والحياة الطبيعية».

حريق يستقر في القلب

أما صباح أبو حليمة (٣٦عاما) تائهة عن نفسها وشاردة للبعيد، منذ ذلك اليوم الذي اختطف زوجها وأبناءها أمامها، لتتحدث وهي غائبة عن الدنيا تجلس، نعم تتكلم بكلمة أو كلمتين، لكن الكلام يجرح، فيطل عليها ذاك اليوم بناره ليحرق عائلتها من جديد، فيكبر الجرح لتغيب من جديد، وهي جالسة على سريرها يحترق الكلام معها ويطول الوقت، وهي تحاول ألا تتذكر واقعها الفاجع، فتصطدم به كلما مرت كاميرا المصورين أو حديث صحافي يقتحم النار عليها، فلا تبكي، فالدموع احترقت منذ ذلك اليوم، وأذابت قلبها المحترق ليستقر فيه حريق يشب كلما حفرنا ذكرياتها المشتعلة بهم، صباح ترقد في قسم الحروق بمستشفى الشفاء في غزة، أصابتهم القنابل الفوسفورية بكل مكان في بيتهم، حين كانوا يجتمعون للغداء ففرقتهم بدخانها الأبيض القاتل، احترق الزوج أمام عينها، واحترقت طفلتها (سنة وثلاثة شهور)، وحمزة (٨ سنوات)، وزيد (١٢ سنة)، وعبد(١٤ سنة)، كلهم احترقوا أمامها، أما هي فاحترقت بقتلهم، أصابتها القنابل في جميع أجزاء جسدها، أرجلها ويديها ومنطقة الفخذين ومنطقة الخصر على الجانبين، لم يبق فيها مكان إلا وأصابتها فيه القنابل الفسفورية. صباح التي رأت وعايشت الخوف والرعب والحرق، ترفض الكلام، وإن تحدثت أو سألتها أين تسكن تصمت، وتقول لأختها بصوت باك يكاد يغيب عن يومه: «قوليلها وين ساكنين، والله مش عارفة وين ساكنين». الصدمة ما زالت في عيونها، والخوف ما زال قابعاً، حتى أنها لا تعرف باقي أولادها، أين هم وفي أي بيت من بيوت أعمامهم يعيشون، على حد قول سهيلة شقيقة صباح، والتي قالت بأن الابن الأكبر لشقيقتها (٢٤ سنة) وزوجته وابنتهم، سافروا بها للعلاج بعد إصابتها هي أيضا بالقنابل الفسفورية.

نسبة الإعاقة هي ١٠٪

وأوضح الناطق الإعلامي لوزارة الصحة في غزة السيد همام نسمان، أن نسبة البتر حوالي ١٠٠ حالة بتر، من ضمنها عشر نساء، إضافة لأعداد الإعاقات غير الظاهرة، من ٥٤٠٠ إصابة، منها المختلفة والمتنوعة، هنالك إعاقات بدون بتر، كقطع في النخاع الشوكي، وهي إعاقات لا ترى، وتعتبر إعاقة مركبة، وخطرها أكبر وأشد، لأنها تتسبب بالشلل لكل أطراف الجسم، خاصة مع استخدام الجيش الإسرائيلي أسلحة حارقة ومحرمة دولياً، واستخدامه لأسلحة غريبة ومميتة، والتي تؤدي لمشاكل خطيرة وكبيرة في المستقبل، خاصة أن المصابين أغلبهم حالات خطيرة، نظراً لاستخدام الجيش الإسرائيلي لأسلحة خطيرة جداً ستتضح آثارها في المستقبل، لربما بعد شهور من الإصابة، وبالتالي لا نستطيع الآن إعطاء أرقام للإصابات بشكل نهائي، حيث ستتشكل لجنة بعد ثلاثة شهور، للبحث في مدى الإعاقات التي أحدثتها الأسلحة الإسرائيلية، وفرز لأنواع الإعاقات وأعدادها بشكل أكثر دقة». وتابع نسمان: « توجد حالات غير مسجلة، ونسبة الإعاقة هي ١٠٪، ولكنها غير دقيقة، أما بالنسبة للإصابات خصوصاً مع استخدام الاحتلال أسلحة محرمة دولياً، فلا يوجد لدينا خبرات كافية للتحقيق في جرائم الحرب لمعرفة مدى أخطار هذه الأسلحة، ومدى تأثيرها في المستقبل». وأضاف: «هنالك أطباء أجانب وعرب، حين قدموا لغزة أخذوا عينات وأنسجة من المصابين، لكن الاحتلال يرفض خروجهم بالعينات، خشية أن تفضح إسرائيل وتنكشف أكاذيبهم». وأنهى نسمان حديثه قائلاً: «الأطباء العرب والأجانب الذين حضروا لمستشفيات غزة، تفاجأوا بنوعية هذه الإصابات، من بتر الأطراف والحروق من الدرجة الثالثة وتهتك في العظام، خاصة أنهم لأول مرة يشاهدون مثل هذه الحالات، وما تحدثه من تشويه في أجساد الضحايا، ليدلل على مدى خطورتها وبشاعتها».

تمسكي جيداً بيدي

خلود جمعة

أصوات أقدام، مشاهد غريبة، وجوه ليست كالوجوه، أكان هذا حلماً؟ أين أنا؟ كان هذا أول ما تبادر إلى ذاكرتي المتعبة عندما فتحت عيني، لأجد نفسي في مكان أجهل موقعه وهويته، نظرت حولي، وجدت العديد من الأجهزة ورائحة المرض منتشرة في الزوايا والأركان، نظرت إلى يدي اليسرى، وجدتها متصلة بأسلاك وأجهزة غريبة، حاولت الحراك، ولكني شعرت بآلام شديدة فآثرت عدم المحاولة من جديد. بدأت شيئاً فشيئاً أتفحص ما حولي، فأنا ما زلت لا أشعر بشيء، ذهني مصاب بالإعياء، فأنا لا أقوى على تذكر شيء، يا إلهي ألا يوجد أحد هنا، أريد أن أرى أحداً، أين أنا؟ ماذا حل بي؟ يجب أن أنهض علني أجد الإجابة خارج هذه الغرفة. حاولت أن ، مددت يدي اليمنى كي أفك قيود يدي اليسرى، ولكن لم يكن هناك يد يمنى، انطلقت مني صرخة ذعر، ولم أشعر بعدها بما حل بي، إلا بعدما استفقت من جديد على صوت أشخاص كثر، من أنتم؟ أين أنا؟ اقترب مني طبيب في مقتبل العمر، يبدو عليه الإرهاق والإعياء قائلاً: «اطمئني أنت بخير»، ماذا فعلتم بي؟ أجاب: «حمداً لله علي السلامة، لقد فقدنا الأمل أن تستعيدي وعيك، منذ متى أنا هنا؟ أجاب: لاحقاً سنتحدث يجب أن تهدئي الآن وتنامي قليلاً، صرخت في وجهه، كلا أنا بخير أجبني من أنتم، جلس على الكرسي المقابل قائلاً: أنت في مستشفي مصري، قدمت إلى هنا في حالة يرثى لها، قاطعته، أين البقية؟ صمت قليلاً ثم أجاب: لقد جئت لوحدك هنا.. فلم يبق أحد إلا أنت. صمت قليلاً ثم نظرت إلى يدي سائلة اياه ماذا حل بيدي؟ لماذا قطعتم يدي؟ انهمرت الدموع من عينيه وهو يجيبني، لقد جئت إلى هنا بلا يد، أرجوك أن ترتاحي قليلاً، يجب أن تبقي هادئة في فراشك حتى نطمئن على استقرار وضعك الصحي، حسناً، أنا متعبة ولا أقوى على تذكر شيء، غادر الطبيب الغرفة وأغلق الباب من ورائه، أغمضت عيني وبدأت أستعيد ما حدث في تلك الليلة، حاولت جاهدة أن أتذكر شيئاً يخرجني من حيرتي، ماذا حل بنا؟ لماذا أنا هنا في مصر؟ شعرت بالإعياء من جديد، لا بأس غدا سيأتي أبي ويشرح لي ما حدث، نظرت من جديد إلى يدي؟ أتراه كان حادثاً؟ لماذا لا أشعر بالحزن والألم، يا إلهي ماذا حل بي؟ إنها يدي!

جولة من الأفكار المتصارعة والممزقة عصفت بذهني تلك الليلة، فقدت قدرتي على الشعور بأي شيء فلم آسف على يدي المفقودة، ولم ينتابني أي شعور، بدأت في البكاء، أتراني حزينة؟ تساءلت ألا يوجد أحد هنا يريح ذاكرتي المرهقة؟ تلك كانت ليلتي الأولى بعد غيبوبتي التي استمرت قرابة الشهر وربما أكثر، كان هذا ما أخبرني به طبيبي المعالج صباح اليوم التالي، حيث استفقت على صوت حركته بجواري، كيف تشعرين؟ أجبت، لا أشعر بشيء، أرجوك اجلس معي قليلاً، أكاد أجن، أريد أن أعرف كيف جئت إلى هنا وأين باقي عائلتي؟ أجابني، عندما تشعرين بتحسن سنتحدث مطولاً، أرجوك لا ترهقي جسدك فما زلت في العناية، وتركني وغادر الغرفة. مكثت في حيرتي بضعة أيام، حتي جاءت تلك الليلة التي عصفت بذاكرتي وأعادتني إلى الوراء، كنا خائفين كثيراً، أصوات القصف عنيفة، طائرات، قذائف، خيمت أجواء من الرعب علي منزلنا، تحركت من مخبئي في زاوية الغرفة متجهة إلى أبي، الذي اتخذ له مخبأ في الزاوية المقابلة، أبي، هل سننجو؟ أجاب الأعمار بيد الله لا تقلقي، اذهبي إلى فراشك وادعي الله أن تمر ليلتنا بسلام، اتجهت إلى فراشي حيث ترقد شقيقتي الأصغر بجواري، كانت ليلتنا باردة حيث اعتدنا على ترك الأبواب والنوافذ مفتوحة، ضماناً لسلامتنا في حال وقوع هزة عنيفة، اتخذت مكاناً لي بجوار شقيقتي التي استفاقت على حركتي قائلة أنا خائفة، ربت على رأسها الصغير قائلة، لا بأس عزيزتي أنا بجوارك لا تخافي فلتهدئي، وأخذت أكرر أنا بجوارك، حاولت عبثاً النوم، أصابني قلق شديد، تزايدت أصوات القصف وزادت شدتها واقتربت أكثر فأكثر، أمسكت شقيقتي بيدي وتشبثت بي أكثر فأكثر قائلة من جديد، أنا خائفة، حاولت أن أطمئنها، ولكن صوت ضربات قلبي كان أقوى من كلماتي لها. أخذنا نتحدث ونلهي أنفسنا علنا نتجاهل صوت الطائرات، أخذت أروي بعض القصص المسلية لمدة ساعات حتى هزمني النعاس فاستسلمت له، وما كدت أغمض عيني حتى تهادى إلى مسامعي صوت سرب من الطائرات يشق عنان السماء، شعرت كأن سقف المنزل سيكون مهبطا لتلك الطائرات.

نظرت إلى شقيقتي فوجدتها ما زالت مستيقظة تحدق في الظلام بعيون قلقة، تترقب وقلبها ينبض بقوة، أمسكت بيدها تحت الفراش قائلة: مهما حدث لا تتركي يدي، تمسكي جيداً بيدي، ابتسمت قائلة: حسناً لن أترك يدك ولكن عديني ألا تتركي يدي، سنبقي معاً إلى الأبد. أغمضت عينيها واستسلمت لأشباح نومها من جديد، حاولت أن أنام عل كابوس هذه الليلة ينتهي، ولم أكن أعلم أن الاحتفال سيبدأ بعد قليل، وفجأة دوى صوت انفجار عنيف، وتحولت الغرفة من حولي إلى شعلة برتقالية حمراء، أو ربما صفراء، كل ما أذكره في تلك اللحظة أن جسدي ارتفع عالياً إلى السماء، وشعرت بنفسي أحلق في الفضاء، وتهاوى ذلك الجسد الضعيف مرتطماً بالأرض بقوة شديدة، أخذت أصرخ، تمسكي جيداً بيدي لا تتركيها، تمسكي جيداً بيدي ... تمسكي جيداً، ذهبت آخذة يدي معها، فلقد تركت لها الأقدار تذكاراً مني، فلقد اختارها الموت ولم يخترني، ليته اختارنا سوية، اختلطت الأصوات وارتفع صداها، أشخاص كثر، أشلاء تناثرت هنا وهناك، كتل نارية ما زالت مشتعلة، حملوا ما تبقى مني، صرخت من جديد، تمسكي جيداً بيدي، لا تتركيها مهما حدث، علا صوت الصراخ وارتفع صداه في غرفتي المظلمة، تشابكت أيادي عديدة من حولي، أخرجني صوت صرختي من سباتي العميق، حاولوا جاهدين تهدئتي خوفاً على انتكاسي من جديد، صرخت.. ضحكت... بكيت... وانتحبت، وقررت أن أعود إلى غيبوتي من جديد.

في مراكز الإيواء

نساء ثكالى وأطفال يتامى وقلة في الغذاء والكساء ونقص في الدواء

غزة - فايز أبو عون

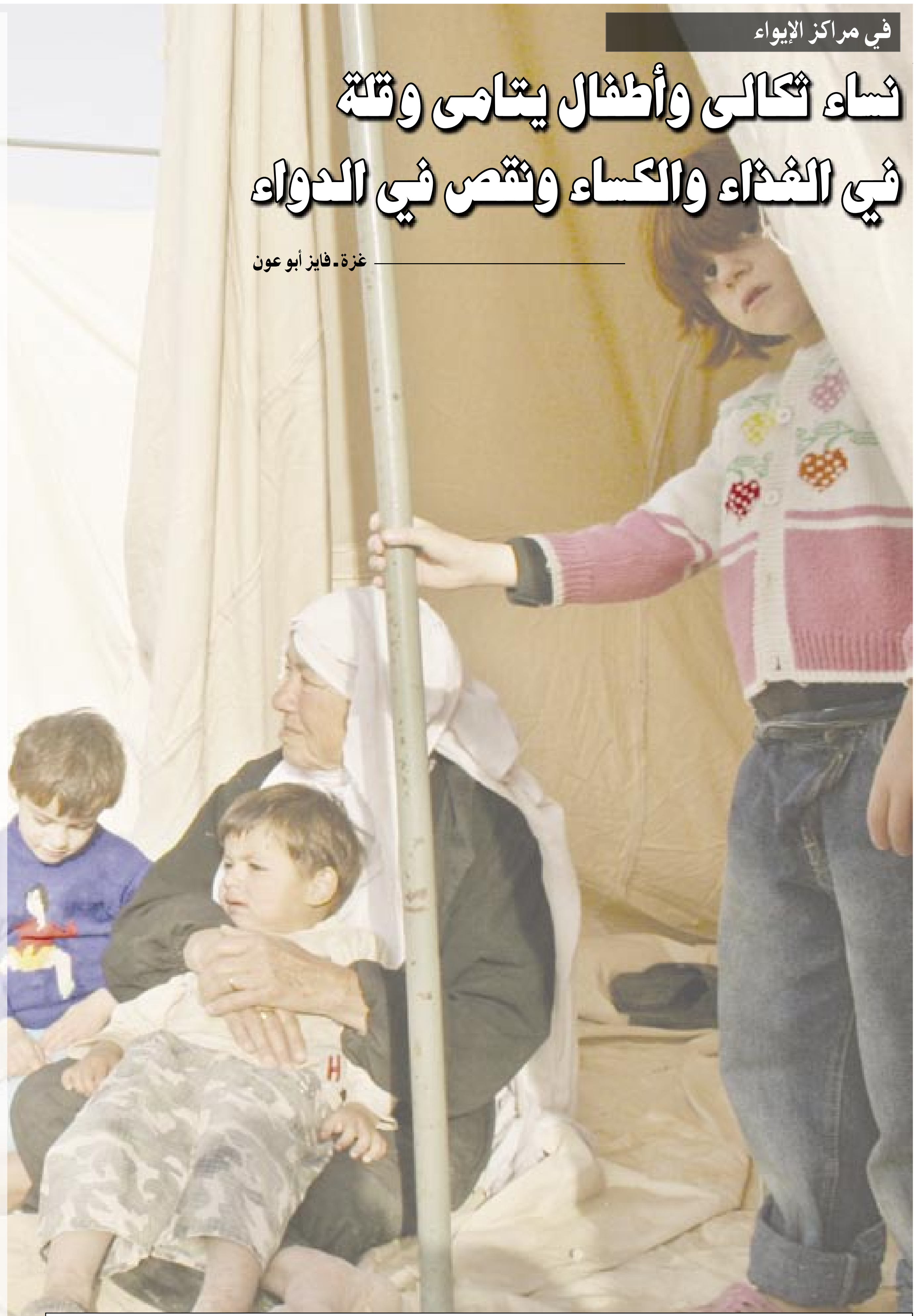

«والله يا بني لم نرغب بالرحيل من بيتنا، لأننا جربنا معنى النزوح في نكبة عام ٤٨، وجربنا نفس التجربة في عدوان الـ ٥٦، في نكسة عام ٦٧، ولكن اليوم الحرب أكثر خطورة ووحشية وبشاعة، إنها مذابح وحرب إبادة جماعية، ولكن نزوحنا المؤقت إلى مراكز الإيواء في مدارس وكالة الغوث الدولية «أونروا»، لن يطول بإذن الله، وسنرجع إلى أراضينا ومنازلنا حتى لو شردونا عنها ألف مرة». وقبل أن تُكمل الحاجة المكلومة أم أسعد حمودة (٧٥ عاماً) التي كانت تفترش بطانية في أحد الغرف المدرسية، متوسطة نحو عشرة أفراد هم كل من تبقوا لها من عائلتها، ثلاثة منهن زوجات أبنائها الذين استشهدوا في العدوان، وسبعة من أحفادها الذين أصبحوا بين عشية وضحاها أيتاماً بلا أب يحنو عليهم، وبلا منزل يأويهم، بدأت بمسح دموعها التي سرعان ما تدفقت على وجنتيها بغزارة، وهي تُمسد بيديها ذات التجاعيد الكثيرة على رأس إحدى حفيداتها المرتمية في حضنها.

ضاقت بنا

وقالت الحاجة أم أسعد لـ «صوت النساء»، «حتى مدارس الوكالة التي قَبلنا المكوث فيها رغماً عنا، ضاقت بنا، فلحقت بنا الطائرات والدبابات لتَقصفنا وتقتل منا من استطاع بشق الأنفس الهروب من الجحيم والنار، ونجا بنفسه أو بمن تبقى من أفراد عائلته من تحت الخراب والدمار، ولكننا ورغم كل ما حلّ بنا سنبقى متمسكين بأرضنا ولن نرحل عنها إلى أي مكان آخر، وهذا ما تعلمته وما سأعلمه لمن تبقى لي من أبنائي وبناتي وأحفادي».

وهنا تدخلت أم محمد زوجة الشهيد أسعد التي لم تتوقف لحظة واحدة عن كفكفة دموعها بيد، وهدهدت طفلها الرضيع باليد الأخرى، قائلة: «رأينا ما حدثنا عنه آباؤنا إبان هجرة عام ١٩٤٨، وما قرأناه في كتب التاريخ، ولكن الآن بصورة حية ومباشرة، وربما أكثر قساوة ومرارة مما عَلِق في أذهاننا، رأينا أطفالاً يبكون عطشاً، وأمهات ونساء يبكين فراق أخ وزوج أو قريب، وشيوخ يرتجفون من برد الشتاء القارس، ورجال يصارعون أمعاءهم الفارغة من الجوع، ومع كل هذا وذاك توحد الجميع على رفع أكفهم إلى السماء دعاءً لله، لان الدعاء هو سلاحنا الوحيد كفلسطينيين». وقبل أن تُكمل أم محمد حديثها، قاطعتها حماتها أم أسعد، بعد أن أطلقت تنهيدة طويلة، تنم عما يختلج في داخلها من أسى ولوعة على فراق الأحبة، وبعد أن فركت يديها بعضهما ببعض قالت: «البيت دُمر في لمح البصر، والأولاد استشهدوا، والحِمل أصبح الآن ثقيلاً جداً، بعد أن أُلقيت كامل المسؤولية على ظهري، الذيِ إعوَّج من هموم الدنيا ومصائبها، فليس لنا ملجأ إلا إلى الله، خرجنا من منزلنا في بيت لاهيا، فعاجلتنا الدبابات التي كانت على بعد أمتار منا بقذائفها المدفعية، رغم أن الجنود رأوا أننا نساءً وأطفالاً».

وأضافت: «سقط منا من سقط، واستطاع من تبقى منا حياً والنجاة بنفسه وأطفاله بأن يزحف على بطنه تارة، وأن يحبو على ركبتيه تارة أخرى، إلى أن وجدنا باب منزل وقد دُمر بفعل القذائف التي اخترقته، فاندفعنا بداخله مرة واحدة، ولحسن حظنا وجدنا في إحدى الغرف المطلة على الجهة الأخرى فتحة في الجدار أحدثتها القذائف المدفعية، فتسللنا منها، وأصبحنا نتنقل من زقاق إلى زقاق، ومن شارع إلى شارع، حتى شاهدنا سيارة إسعاف على مقربة منا، فأدركنا أننا أصبحنا بعيدين نوعاً «ما» عن الخطر على الأرض، ولكننا غير بعيدين عن الخطر في الجو».

وتابعت أم أسعد: «بقينا نسير بجانب جدران المنازل المدمرة، ونحن حفاة، ملتصقين ببعضنا البعض، وألسنتنا لم تتوقف لحظة عن ترديد الشهادتين، والدعاء إلى الله أن ينجينا من هذا البلاء والعدوان، إلى أن أصبحنا على مشارف مخيم جباليا، حيث اللجوء الجديد، فاستقبلنا من كانوا هناك، وأجلسونا في غرفة صفية بعد أن هدأوا من روعنا، وأسقونا شربة ماء لإطفاء نار الحرقة في قلوبنا، وبعد أن استرحنا قليلاً، بدأت حقيقة أمرنا تتكشف، فقلة الغذاء، وندرة في الكساء، والنقص في الدواء كان هو سيد الموقف، ليس في مدرسة الفاخورة لوحدها، بل في سائر مدارس اللجوء والتشرد».

يزداد سوءاً

ومن بين دموع النساء، وصراخ الأطفال، وخوف الرجال من المصير المجهول، كان الوضع الإنساني في غزة يزداد تفاقماً، بعد أن طالت آلة الحرب الإسرائيلية المدنيين الفلسطينيين، الذين لجأوا إلى مدارس الأمم المتحدة، فقتلت منهم العشرات، وأصابت منهم المئات، ما أثار الرعب والخوف في نفوس الباقين، الذين أصبحوا لا يثقون حتى في رسائل الطمأنينة التي كان يبثها مسؤولو وكالة الغوث الدولية بين الحين والآخر، بأنهم اتفقوا مع سلطات الاحتلال بعدم استهداف مؤسساتها من جديد، وأن ما حدث من قصف كان بمثابة خطأ.

فأمام اتساع دائرة العدوان الإسرائيلي، التي طالت آلاف المنازل والشقق السكنية، أوضحت وكالة الغوث الدولية على لسان الناطق باسمها في غزة عدنان أبو حسنة، أن نحو ١٥ ألف شخص من سكان غزة لجأوا لمدارس الأونروا الـ ٢٧، الموزعة على عدة مناطق في قطاع غزة، وذلك فراراً من القصف العشوائي للجيش الإسرائيلي.

وقال أبو حسنة: «الوكالة الدولية اضطرت لفتح مدارس جديدة لإيواء اللاجئين، نظراً لتزايد أعداد الفلسطينيين الذين يفرون من مناطق القتال، ولكن العدد كان طوال أيام الحرب الـ ٢٢ في تزايد مستمر»، مضيفاً إنه ورغم تسليم الأونروا لسلطات الاحتلال الإسرائيلي إحداثيات مدارس الأمم المتحدة في القطاع حتى لا يطالها القصف، إلا أن الجيش الإسرائيلي استهدف عدة مدارس بحجة أن بعض العناصر المقاومة احتموا فيها، وهذا ما ينفيه مسؤولون في الأونروا جملة وتفصيلاً.

وكما هرع المئات من المواطنين القاطنين في المناطق الحدودية إلى وسط المدن والمخيمات، حيث مراكز الإيواء التي خصصتها الأونروا، توجه البعض إلى أقارب له ليقيموا لديهم، وكانت المواطنة أم مصعب تهرول مع عدد من النساء والأطفال بين أعمدة الدخان التي غطت منطقة تل الهوى، خوفاً من أن يطالها وأبناءها قصف الدبابات الإسرائيلية، مشهد آخر من مشاهد اللجوء الفلسطيني الجديد، حيث قالت والدموع تنهمر من عينيها بغزارة: «لقد أرعبوا وأرهبوا أطفالي، لقد زرعوا الخوف فيهم، لا مكان آمن في قطاع غزة، تركت كل شيء داخل منزلي، رحلنا فقط بأرواحنا، لم آخذ حتى ملابس لأطفالي».

ما زلت أتغنى بنشيد أمي

نيفين القيشاوي

دمعتْ عينا ألفت، وامتزجت دموع عينيها مع غبار ركام بيتها، خرجت كلمات من فمها تخفق القلب لوعة وحسرة، ما زلت أتغنى بنشيد أمي، وما زلت أجهز لها هدية عيد ميلاها، كي أقدمها لها يوم عيد الأم، ولكن يد الاحتلال دفنت أغنيتى معها، وحطمت هديتي، وحرموني من أحضان أبي، وأنا بأمس الحاجة لكنفه ورعايته.

قتلت عائلتي بدم بارد

تحدثت ألفت البالغة الثالثة عشرة من عمرها، يوم استشهاد أمها وأبيها وأخيها، بتلك الكلمات وهي تبكى ألماً: «كان ذلك أول أيام الاجتياح البري، حيث اشتد قصف الطائرات وقذائف المدفعيات باتجاه بيتنا في عزبة عبد ربه». وسكتت قليلاً ثم أضافت: «طلب مني أبي الرحيل من البيت لشدة خوفي، ورفض أن يترك البيت ويرحل، وبقي في البيت هو وأمي وأخي الصغير البالغ من العمر التاسعة، وأن أرحل مع أخوتي من أبي إلى مدارس الإيواء، وخرجنا ولم لا نعلم شيئاً عنهم هل استشهدوا أم اسروا؟ وعاشت عائلتي ليلة من الخوف والرعب، ما بين صوت قذائف المدفعيات وإطلاق الصواريخ. وفي صباح اليوم التالي سمع أبي مكبرات الصوت من جنود الاحتلال تطلب إخلاء البيوت، والخروج حاملين الراية البيضاء، ورفض أبي الاستسلام وترك بيته للهدم».

شاهد على جريمتهم

وتابعت حديثها عين تنظر للبيت والعين الأخرى إلى الرصيف المقابل: «دخل جنود الاحتلال وأخرجوهم من البيت عنوة، وألقوهم خارجاً على الرصيف، وقاموا بهدم بيتهم أمام أعينيهم وباطلاق النار صوب أقدامهم».

وبكت ألفت بحرقة: «صوبت الدبابة مدفعيتها أمام الرصيف، وألقت بقذيفة صوبهم حولتهم إلى أشلاء، ولم تستطع سيارات الإسعاف الدخول إلى المنطقة لشدة الصواريخ وإطلاق النيران، وظلوا ملقين على الأرض مضرجين بدمائهم من أول الاجتياح البري حتى انسحاب قوات الاحتلال من القطاع».

وامتلأت عينا الفتاة خوفاً ورعباً: «عندما عدنا إلى منزلنا، شاهدت أمي وأبي وأخي محولين إلى أشلاء، لم يرحموا ضعف أمي ووهن أبي وطفولة أخي، قتلوهم بلا رحمة. أصبت بعدها بصدمة عصبية وأغمي عليّ من هول المنظر الذي رأيته بأم عيني، نقلت إلى المستشفى، ولم أفق من الغيبوبة الا في اليوم التالي». ولم تنته مأساة ألفت، بل بدأت معاناتها من ألم الحرمان ونار اليتم.

فقدت ثلاثة من إخوتها

الرضيعة الجريحة نعمة تنتظر صحوة أمها من غرفة الإنعاش

تقرير: هداية شمعون

نعمة تلك الطفلة الفلسطينية ذات العامين، تنادي بصوتها الرقيق إخوتها قائلة.. صدقي!! ثم تضيف صدقي مات.. أحمد مات... محمد مات.. حتى أمها التي ما زالت في العناية المركزة ترقد في القاهرة تقول.. ماما مات... نعمة لم تسلم من قصف جيش الاحتلال الإسرائيلي لبيتهم ولغرفة نوم أبيهم، حيث اجتمعوا كلهم احتماء من القذائف والصواريخ المتفجرة، فقد ظلت على قيد الحياة بأعجوبة، ومن رأى وجهها المحترق وجبهتها الممزقة والدماء تغطي وجهها وجسدها الصغير، لا يصدق أن الله أراد لهذه الطفلة أن تبقى على قيد الحياة.

يقول والدها زياد محمود يوسف العبسي من سكان مخيم يبنا في رفح جنوبي القطاع:

«عدت للبيت في العاشرة مساء يوم ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٨، ووجدت عائلتي المكونة من ١٠ أفراد يستعدون لتناول طعام العشاء وشاركتهم الطعام، ثم قمنا بالنوم جميعا في غرفة واحدة، وكانت الساعة بلغت منتصف الليل، ونمت، وفجأة لم نشعر بشيء، فتحت عيوني لأجد نفسي أطير تجاه سقف غرفتنا الاسبست، وزوجتي تحتضن نعمة وهي ترضعها، ومن ثم نسقط على الأرض المتزلزلة من تحت أقدامنا، لم نسمع صوتاً، كأنما فقدنا الجاذبية وشيء يدفعنا للأعلى، المشهد الذي لا يفارق مخيلتي حين رأيت أطفالي وزوجتي والدماء تغطينا، ونحن نتساقط تحت الركام وبعضه يقع فوقنا».

ويضيف العبسي: «اعتقدت أنه حلم، ورأيت الناس تندفع تجاهنا، ولم أشعر أني أعي فعلاً ما حدث، والناس تصرخ وتحملنا من تحت الركام، وفقدت الوعي تماما، ولم أصح إلا في المستشفى والدم يسيل من يدي، بقيت في مستشفى النجار وسألت عن أولادي وبناتي وأخبروني أنهم في نفس المستشفى، والناس أتوا يزورونني وكانوا يبكون، وأنا لم أفهم شيئا مما حدث فعلياً لنا، كنت قد أصبت في رأسي وغرزت ١٠ غرز، وفي ظهري أيضاً غرزت ٧ غرز، بينما يدي اليسرى كسرت».

خذوا حقكم من ربكم

في اليوم الثاني جاء ابن أخي، لم يجرؤ أحد أن يخبرني ما الذي أصاب عائلتي، ولكنه قال لي أنهم سيقومون بتشييع جنازات الصغار الثلاثة محمد ١٢ عاماً، وصدقي ٤ أعوام، وأحمد ١١ عاماً، ولم أجد غير كلمة الحمد لله على كل حال، وطلبت أن أودعهم قبل تشييع جنازتهم، وحملوني على كرسي متحرك، وحين رأيت وجوههم البريئة في ثلاجة الموتى بكيت، وقلت لهم على مسمع من الناس الموجودين حولي: يابا روحوا خذوا حقكم من ربكم من هذا العالم، فأنا لم يعد بوسعي فعل شيء».

ويصمت الأب المكلوم وقلبه ينفطر على أطفاله الشهداء، ورغم جراحه التي لم تندمل، وجد نفسه يبحث عمن تبقى من عائلته، وتمكن من الخروج من المشفى في اليوم الثالث لعزاء أطفاله، ليتمكن من تقبل العزاء بهم.

وتقول الابنة زكية ١٥ عاماً، والتي أصيبت بكسر في يدها: «كنت نايمة وفجأة لقيت حالي بسيارة الإسعاف، وما وعيت على اللي صار، كانوا المسعفين بيجروا فينا على المستشفى، وكانت أيدي مفتوحة والدم مغرق ملابسي، وبقيت ٢٥ يوما بالمستشفى». وحول استشهاد إخوتها تقول زكية بوجهها الشاحب، وصمتها المسيطر على أجواء الحديث: «لم اعرف شيئاً، اعتقدت أنهم جميعاً مثلي، كما أخبرني الأقارب لولا الصدفة، حين جاء أحد الأطباء معتقداً أني نائمة، وقال لمن معه هذه الفتاة التي أنقذوها من تحت الأنقاض، حين استهدف الصاروخ بيتهم، واستشهد إخوتها الثلاثة، فجعت ولم أصدق ذلك حتى أخبرتني خالتي أنهم عصافير في الجنة الآن.. هذا ما قالته وبكيت كثيراً، لا أصدق أنهم ماتوا حقاً، أتذكرهم أنا وأخواتي ونظل نبكي». وصمتت زكية كثيراً وعيناها قد امتلأتا بالدموع والألم، وأضافت بعد وقت: «أدعو الله كل لحظة أن تعود أمي للحياة، وتعود لنا لأنا بحاجة إليها، نحن أطفال لم يعد باستطاعتنا تحمل أكثر من ذلك». وعن حالة الزوجة يقول الأب العبسي: «لقد أنقذ الله الطفلة الصغيرة نعمة، لأن أمها كانت ترضعها وفي حضنها حين انفجر الصاروخ وتطايرت الجدران والأسقف من حولنا، وبقيت زوجتي على ما يبدو كما قال المسعفون تحتضن الصغيرة حين حملوهما معاً لسيارة الإسعاف، حالتها حرجة جداً حين زرتها بعد أيام في مستشفى ناصر بخان يونس لم اعرفها، وبكيت حين رأيتها، كانت كلها موصولة بالبرابيش، وكانت منتفخة حتى لم أعرف ملامحها، فقد كانت في غيبوبة، إذ أصيبت بكسر في الظهر وكسر في الصدر، وتم تغريزها ٢٠ غرزة في رأسها، حين أخرجها المسعفون اعتقدوا أنها ميتة، وتم تحويلها لصعوبة حالتها إلى مستشفى العريش في مصر، وهي الآن في مستشفى ٦ أكتوبر».

وتقول زكية: «كل فرد من العائلة أصيب، فأختي نداء (١٩ عاماً) أصيبت في رأسها، كذلك فداء أيضا أصيبت في الرأس، وكذلك أبي وأمي، أما بيتنا فقد تم تدميره ولم نعد نملك شيئاً، ونعيش الآن عند أعمامي وجدتي، لم يعد لنا بيت، ولم نعد مجتمعين كعائلة ولا زلنا مشتتين. أنا حتى الآن عملوا لي عمليتين، وحطولي سيخ بلاتين في إيدي، ورقعوها من لحمة رجلي، ولسة عندي عملية ثالثة بعد شهر». أما الرضيعة نعمة، فقد أصيبت في وجهها وجبهتها ورقبتها وقدميها، كذلك قطع جزء من لسانها، وظلت الصغيرة لمدة أسبوع في المشفى، وحين جاءت أخواتها لأخذها لم تعرف أحداً منهن، وعانت كثيراً كونها رضيعة لم تر أمها ولا إخوتها، وكلما قالوا اسم أحد إخوتها الشهداء قالت مات.. مات.. وتمكنت الأخوات من ضم الرضيعة واحتضانها، لكنها لا زالت مثلهن تماماً بانتظار عناية الله لشفاء أمهن وعودة الروح لها لتساندهن في محنتهن.

ويستذكر الوالد فجيعته قائلا: «حين حدث الانفجار قال جيراني بعد أن خرجت من المشفى، أن جثة محمد وأحمد وجدوهما على بعد ٣٥ مترا من شدة الانفجار، ابني صدقي كنت أضعه على كتفي وأمشي فيه في الشارع ونضحك، وأحمد ومحمد كانوا دائماً بجانبي، أنا مش عارف كيف متحمل فراقهم، يمكن هذا كله كابوس، أتمنى ترجع عيلتي ونكون مع بعض نصبر بعضنا». ويستذكر ابنه صبحي ذو الأربع سنوات، والذي أصيب كباقي إخوته: «كان صبحي من شدة الخوف ومن كثرة ما رأينا صور مخيفة لجرحى أطفال بالتلفاز، يغطي عينيه بيديه كي لا يرى الصور، لم أعد أعرف كيف يمكن أن أشعر باقي أطفالي بالأمان، بعد أن استهدفنا القصف وحرمنا أطفالنا».

نساء غزة

بيوت مدمرة وأحلام ضائعة

سهاد عبيد

انتهت الحرب، وعاد الجميع ليتفقد بيتاً تركه، لم يفكر وقت الحرب ماذا حدث لبيته، أو ماذا سيحدث، فالحرب كانت تعني الموت أو الحياة، أشلاء الأطفال المتناثرة والأجزاء المبتورة وقوافل الشهداء المتلاحقة، جعلت البيوت أمراً ثانوياً.

فمحظوظ من نجا بنفسه وبأبنائه، ومحظوظ من كان تدمير بيته ليس كلياً، فعودته حتى على أنقاض هذا البيت لإصلاح ما يمكن إصلاحه يعتبر إنجازاً، مئات العائلات لجأت لمدارس وكاله الغوث في وقت الحرب، جمعهم الدمار الذي أفقدهم بيوتهم، وبعد الحرب طلب منهم العودة، لكن إلى أين؟ إلى أطلال بيوت حولتها الحرب إلى أكوام من التراب، فقدان البيت يعني فقدان الأمان، وفقدان الاستقرار وفقدان الخصوصية.

كثير من العائلات نصبت خياماً في أماكن بيتها، لتجدد عهد المخيمات واللجوء، وكأن القدر دائماً يكتب على هذا الشعب أن يكون لاجئاً، قصص البيوت المدمرة تركت آثاراً نفسية واجتماعية على الجميع، خصوصاً النساء، اللواتي يمثل البيت كل حياتهن، وهو ملاذ الطفل، وحين يفقد البيت يفقد كل شيء. لكل بيت قصة، وهو محصلة مجهود سنوات طويلة، وهو ما أنجزته الأسرة طوال حياتها، كنت اعتقد بأن زجاج النوافذ فقط يتكسر، حين عدت لبيتي، شعرت بالصدمة، نوافذ البيت قد اقتلعت من أماكنها وألقيت بعيداً، الزجاج وقطع الألمنيوم متناثرة في كل مكان، الأبواب مكسرة، وكأن الانفجار كان في داخل البيت، ولم يكن في المبنى المقابل، أيقظني من ذهولي صوت زوجي الذي أخبرني بان الدمار امتد للسقف، فغالبية القرميد قد اقتلع، وطار جزء منه، وتكسر جزء آخر، حتى خزان الماء لم يسلم من شظية جعلته يفقد الليترات القليلة التي كانت بداخله. برغم مشاعر الحزن على بيت ما زلت أسدد أقساطه، شعرت بأنني أوفر حظاً من الكثيرين الذين تضررت بيوتهم بشكل كامل، ويكفي بأن بيتي ما زال موجوداً وقائماً، لكني حتى الآن أشعر بالخوف حين أنظر إلى النوافذ، أتخيلها وهي تطير من مكانها لتقتل من يصادفها.

تقول هبة أبو عازرة، طالبة جامعية تسكن في بيت حانون: «في هذا المكان كان لي بيت جميل، مكون من طابقين، تحيط به أشجار الفاكهة والزيتون، عشت به منذ نعومة أظفاري، حفرت معالمه على ذاكرتي، هنا كنا نلعب، وهنا كان أبي يعتني بأشجار الفاكهة، وهنا كان يوجد بئر الماء، كنت أشعر أنني أعيش في الجنة، وأننا أسعد البشر على هذه الأرض، بيتنا يتوسط بيارة بها أشجار المشمش والتفاح والنخيل والزيتون، والتي هي كانت مصدر رزق والدي، تركنا بيتنا بعد أن بدأت الدبابات تدخل قطاع غزة من المناطق الحدودية، طلبوا منا الإخلاء الفوري، رفض بعض الجيران الإخلاء، فما كان من جنود الاحتلال إلا أن طردوهم بالقوة، توجه الكثيرون إلى المدارس، أما نحن فحملنا بعض الملابس الضرورية والأوراق الثبوتية، وتوجهنا إلى بيت أخي، الذي يقع في وسط البلد، ولم نكن نتخيل بأننا لن نعود إلى هذا البيت، سمعنا صوت القصف المتتالي، ومن سطح الجيران شاهدنا أن جميع البيوت قصفت بدون استثناء من بينهم بيتنا وبيت عمي وبيوت جيراننا، عاد أحد الجيران يبحث بين أنقاض بيته عما يمكن حمله، فر هارباً بعد أن نجا من القتل بأعجوبة، فقد صوب جنود الاحتلال بنادقهم نحوه، لأنه دخل منطقة عسكرية مغلقة، لا يحق لأي من سكانها دخولها، عدنا بعد الحرب نتفقد بيتنا، لكن لم نجد أي آثار للبيت أو البيارة أو البئر، طمست معالم المنطقة بالكامل، فلم تعد معروفة، البيت أصبح كومة من التراب، أشجار البيارة جميعها اقتلعت من جذورها، ركام البيت كان فوق بئر المياه. في لحظة واحدة فقدنا بيتنا ومصدر الدخل الوحيد لنا، فقد كنا نعتاش من إيراد البيارة، نعيش الآن في بيت أخي، أسرتنا المكونة من عشرة أفراد، بالإضافة لأسرة أخي في بيت لا تزيد مساحته عن ١٢٠ متراً، لا ندري من أين نبدأ وكيف نبدأ، وهل يمكن أن نبدأ؟ والدي يعيش حاله نفسية سيئة بعد أن ذهب كل ما أنجزه في حياته، نعيش جميعنا الآن حالة من القلق والخوف من المستقبل، لا نجد إجابة لأسئلة إخوتي الصغار، لماذا قصفوا بيتنا؟ لماذا اقتلعوا أشجارنا؟ لا نريد أن نذهب إلى المدرسة، ليس لنا حقائب أو كتب أو زي مدرسي، قد تقصف المدرسة مثلما قصف البيت.

أما ابتسام أبو دف موظفة وأم لأربعة أطفال، تعيش في منطقة النصيرات، تقول: «تغيرت شخصيتي بعد الحرب، شعور بالذنب يلازمني، قلق وخوف دائم، أشعر بأن شخصيتي تغيرت، كنت مسالمة لدرجة أنني أكره كل أشكال العنف، تحولت لإنسانة عنيفة تكره وتحقد وتشعر برغبة شديدة في الانتقام، بدأت القصة حين أخلى جيراننا بيتهم، بعد أن قصف بيت أقاربهم في الشارع المجاور، وبدأ الجيران القريبون منهم بالإخلاء، ونحن أصبحنا نخلي بيتنا كل يوم في ساعات المساء فقط، وفي الصباح كنت أعود إلى بيتي. وفي إحدى المرات قررت ألا أغادر منزلي، اخترت الغرفة الداخلية التي كانت بعيدة عن بيت الجيران، لكن زوجي جاء وطلب مني أن نذهب لبيت أخيه، كالعادة رفضت، أخبرته بأنني سأبقي هذه الليلة في بيتي، لم يقتنع زوجي فأرسل إليّ أحد أولاد أخيه، لكني رفضت، وفي نهاية المطاف جاء أخوه الكبير فخجلت ألا اذهب معه، حملت أبنائي بملابس النوم، ولم آخذ معي سوى حليب وحفاظات طفلي الرضيع، على أن أعود كالعادة في الصباح. في تمام الساعة الخامسة صباحاً استيقظنا على صوت انفجار ضخم، تكسرت على أثره نوافذ المنزل الذي كنا فيه، فظننا أنه تم قصف بيت الجيران الملاصق لبيتنا، اندلعت النيران في المنطقة من البنزين الذي خزنه أحد الجيران، تناثرت الأقاويل بأن بيتنا هو الذي قصف، انتظرنا حتى الصباح حتى أخمدت النيران، وذهبت مسرعة لأتفقد بيتي، كنت اعتقد بأنني ساجد الخزانات أو الأثاث أو جزء منه، وفي الطريق للبيت وجدت قطعاً صغيرة من أثاث غرفة بناتي بلونها المميز متناثرة، حين وصلت المنزل لم أصدق ما شاهدت، البيت عبارة عن كومة تراب، ليس هناك أي اثر لأي قطعة من الأثاث، ما كان في البيت تلاشى آو تبخر، بيتي مجهود ٩ سنوات زواج، كل ركن، كل جدار، كل قطعة أثاث لها ذكرى، غرفة نوم بناتي لم يمض على شرائها سوى أشهر قليلة، كانت بنتي تدعو صديقاتها من المدرسة ليرين غرفتها الجميلة، ذات الألوان الزاهية، والتي تزينها صور (فلة)، دهان البيت، طاولة السفرة، كلها لم يمض على شرائها سوى أشهر قليلة، كنت قد جددت الكثير من العفش قبل ولادة طفلي، زوجي يقف على أطلال البيت ويقول، أتمنى أن أجد قطعة من الخشب، تثبت لي بأن في هذا المكان كان يوجد أثاث، خرجنا فقط بما علينا من ملابس، اشعر بالرعب حين أتذكر بأنني كنت لا أريد مغادرة المنزل في تلك الليلة، أتخيل بأنني وأبنائي سنتحول لأشلاء متناثرة تحت أنقاض المنزل، فنحن لم نتخيل للحظة أن بيتنا سيقصف، ولو أن جيراننا لم يخلوا بيتهم، لبقينا في البيت، والآن استأجرنا بيتاً وأخذنا بعض الاحتياجات الضرورية من بيت سلفي، أبدا من نقطة الصفر، بدءاً بالملابس ونهاية بكل ما هو ضروري، وأتساءل: كم من الوقت يلزمني لأعيد ما دمرته الحرب؟ هل يمكن أن يعود الزمن للوراء وأن يكون لي بيت مثل ما كان؟.

في ظل غياب الأمل وعدم توفر فرص العمل

حالة الضياع والإحباط تسيطر على الشباب والشابات واتجاه قوي للهجرة لديهم

غزة - حسن دوحان

يعيش الشباب الفلسطيني في قطاع غزة حالة من غياب الأفق والأمل أمامهم، فالمستقبل غامض مجهول، والقطاع أصبح محل تجارب الآخرين، فلا أزمة لها نهاية ولا حلول لشيء وان وجدت الحلول تكون بداية لازمة جديدة، رغم أن الحلول تكمن فقط بإنهاء الانقسام والعودة للوحدة..

وفي ظل هذه التناقضات، بات الشباب يشعرون باليأس والإحباط فلا فرص عمل، ولا أمل في الغد، ولا شيء يعطيهم حتى الدافع للحياة، وحتى السياسيين باتوا كمن يزيد لهيب الإحباط وسط الرفض المتتالي لإنهاء حالة الانقسام بحثا عن الكراسي وليس إنقاذ الشعب من الفقر والضياع الذي يعيش فيه..

ووسط حالة الضياع التي يعيشها الشباب الفلسطيني منذ نحو سبع سنوات والتي ازدادت وتيرتها بشكل كبير منذ نحو عامين بعد حالة الانقسام، اتجه نحو عشرة آلاف شاب للعمل في الأنفاق رغم مخاطر ذلك على حياتهم، فقد قضى منهم حتى الان نحو ثمانين شابا "علاء سلامة" البالغ من العمر ٢٩ عاما، تخرج قبل ستة سنوات من جامعة الأزهر في غزة قسم اللغة الانجليزية ولكنه لم يجد فرصة عمل لان فرص العمل يتم توزيعها على المنتمين حزبيا وليس على أفراد الشعب أو الكفاءات كما يقول.. ويقدر عدد الخريجين من الجامعات والمعاهد في قطاع غزة بنحو تسعين ألف خريج نصفهم عاطلون عن العمل بحسب مركز الإحصاء الفلسطيني، بينما يبلغ عدد العاطلين عن العمل إجمالا في قطاع غزة بأكثر من ثلاثمائة ألف مواطن، أي ما تزيد نسبتهم عن ٦٠٪، في حين ترتفع نسبة الفقر إلى أكثر من ٨٠٪، وكلها مؤشرات على ما وصلت إليه الأوضاع نتيجة الانقسام والحصار الإسرائيلي الظالم.. ويقول الشاب "سلامة" لم أجد أي فرصة عمل سوى الانتحار في الأنفاق، حتى أتمكن من بناء مستقبلي أو الموت كالآخرين، فلا حياة مع الفقر، ولا حياة في بلاد غابت فيها الرحمة والعدل والمساواة..

وإذا كان الشباب في قطاع غزة لا يستطيعون إيجاد فرصا للعمل أو العيش بكرامة، فما بالك الشابات اللواتي بتن يتخرجن من الجامعات، فلا يجدن لهن مكاناً سوى فرص التشغيل المؤقتة "البطالة"، ولمدة محدودة ما بين شهرين وستة شهور، هذا إذا وصلهن الدور، إضافة إلى قلة عدد المتزوجات منهن نتيجة الظروف الاقتصادية الصعبة، والتي باتت الشباب فيها لا يقدمون على الزواج .. وتقول وفاء حسن البالغة من العمر ٢٧ عاما والمتخرجة من الجامعة الإسلامية قسم أحياء " منذ أربع سنوات ابحث عن فرصة عمل بلا فائدة، ولو كنت شابا لفضلت الهجرة على العيش هنا ولكن تقاليد مجتمعنا لا تسمح للبنت بالسفر وحدها" إيمان عمر البالغة من العمر ٢١ عاما لم يحالفها النجاح في الثانوية العامة وباتت في بيت أهلها تنتظر أن يأتيها ابن الحلال، وقد تقدم لخطبتها أكثر من شاب ووافقت على واحد منهم، ولكن أسرتها رفضته لعدم جاهزيته، ولتقاليد عائلتها التي لا تسمح بالخطبة لفترة طويلة، وها هي حبيسة البيت تعاني الأمرين فلا أخبار تسمعها سوى أخبار الحروب ولا حديث سوى حديث الانقسام ولا أمل لها ولغيرها في حياة أفضل ولا مكان تذهب إليه للترويح عن نفسها، وتقول لا أجد مكانا اهرب به من المنزل سوى التحجج أني ذاهبة إلى العيادة للعلاج لدرجة بت فيها اكره المنزل والمكان وكل شيء، متسائلة متى ينتهي هذا الوضع الكارثي ونعود إلى حياتنا الطبيعية التي كنا بها نخرج في رحلات ونتفسح ونجد وقتا للهروب من أحزاننا وهمومنا؟!

ولا تقتصر معاناة الشباب في قطاع غزة على فرص العمل التي تعتبر من أولويات الحياة الأولى، بل أيضا لا توجد أماكن يرفهون بها عن أنفسهم سوى التجمع في الحارات والأزقة وبيوت بعضهم، التي باتت تكتظ بهم، ويحلمون فيها سويا بصوت عال في كيفية الهروب من هذا الوضع الكارثي الذي يعيشونه. فيما جزء كبير منهم بات يبحث عن كيفية الهجرة للخارج والياتها والى أي بلد، بحثا عن فرص للعمل ومكان أكثر أمنا، تنبعث منه رائحة الأمل والتفاؤل بدلا من رائحة الإحباط واليأس المخيمة في قطاع غزة. فقد أظهرت بعض الإحصائيات أن نسبة ٤٠٪ من سكان غزة تفكر جديا بالهجرة.

ويقول الشاب سامر البالغ من العمر ٢٢ عاما: "لقد جهزت كافة أوراقي الخاصة بالهجرة، وعندما يتم فتح المعابر سأسافر بلا عودة فهذه بلد لا تصلح لان نعيش فيها، فليس فيها ما نبكي عليه رغم أنها ارض رباط ولكنها تحولت إلى ارض استغلال واحتكار ونهب وتوظيف بالواسطة وغيرها من الممارسات المنفرة، فلا احد يعمل حساب احد أو يفكر في مصيره إذا ما اتخذ قرارا سياسيا أو غيره".

وعلى النقيض تماما، يقولعائد البالغ من العمر ٢٤ عاما "هذه ارض رباط ولن أهاجر منها ورغم قسوة الظروف واختلال كل الموازين وفقدان الأمل، سأبقى هنا لأجاهد حتى ولو كان ذلك الجهاد بعدم توفر حياة كريمة لي"..

بينما يؤكد الشاب "محمود شعبان" انه يبحث بكل السبل عن طريق للهجرة أو مغادرة قطاع غزة، لأنه بات يؤمن أن العيش في قطاع غزة لا يوفر الراحة بل ويرهق الأعصاب" غدير رأفت البالغة من العمر ٣٢ عاما تقول "منذ فترة وأنا ابحث عن وسيلة للسفر مع زوجي وأبنائي الثلاثة دون جدوى ولكن في اقرب فرصة يتم فتح المعبر فيها لن أبقى في هذا البلد، وسأغادره حتى وان بقي زوجي، بغرض متابعة عمله".

ومع فتح معبر رفح المحدود تمكن عدد كبير من الشباب من مغادرة قطاع غزة ،يقدر عددهم بالالاف جلهم توجه إلى مصر والإمارات، باحثين عن فرص للعمل أو لاستغلال تلك المرحلة من أجل إكمال تعليمهم.

للبيوت أسرارها

تالا حلاوة

عندما تنسدل ستائر الليل الحالك، تأوي أحلام لفراشها كل ليلة باكية، تبلل وسادتها بالحزن والألم، ويمر في رأسها شريط يوم آخر عاشته غريبة عن نفسها وأهلها، وتلاحقها صور أليمة وذكريات مستعصية على النسيان.

طويلة الجدائل، شقراء الضفائر، متوسطة القامة، بنية العينين، هي أحلام. لم تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها في ذلك الوقت، ومع ذلك بدت في عينيها علامات شيخوخة مبكرة، لا يلحظها إلا من يقرأ دفاتر نظراتها البائسة. تغفو أحلام راجية الله أن يمنحها ليلة سلام، وأن يبعد عنها كوابيس كل ليلة. إلا أن تورم عينيها لم يترك لها الفسحة للاستغراق في النوم.

ككل يوم تدرج أحلام على سلالم بيتها متوجهة للمدرسة، التي تعتبرها المتنفس الوحيد في حياتها، إذ إنها مجتهدة وتحب الإطراء الذي تناله من معلماتها، وهو الإطراء الوحيد الذي تسمعه في حياتها، بالإضافة «لمدح» والدها لها بعبارات مثل: «البنات همّ للممات»، أو «لعنة الله على يوم أنجبتك أمك، فتاة لا تجلب سوى العار والفضيحة».

هكذا استقبل والد أحلام ولادتها، وعلى الرغم من كونها قد كبرت، إلا أنه ما زال يعاتب الأم المسكينة، ويضربها لكل كبيرة وصغيرة، ويشتم ويلعن باستمرار، لكون زوجته لم تنجب له صبياناً أكثر!.

ما يثير السخرية أن كل زميلات أحلام يحسدنها على جمالها وحياتها، لعدم معرفتهن بحقيقة الأمر. ففي مجتمعنا البيوت أسرار، وحتى لو كانت بؤرة فساد أخلاقي، لا بد من التكتم والصمت، خصوصاً في مثل حالة أحلام، التي تتعرض ووالدتها للعنف بكل أنواعه.

بدأت مأساة أحلام في ليلة سوداء، ففي حين أوت لفراشها حالمة بأب يقبل وجنتها ويتمنى لها ليلة هانئة، دخل الوالد لغرفتها وانتشلها من سريرها وبدأ بملامستها بشكل غريب. في البداية ظنت أنه حنان أب لا أكثر، إلا أن طريقته أثارت اشمئزازها وخوفها، من أن يكون في نيته أكثر!.

لم تصمت أحلام في تلك اللحظات، وحاولت إبعاده عنها والصراخ، ورجته باكية بالتوقف عن التحرش بها، إلا أنه هددها بالضرب والاعتداء على أمها، فصمتت مجبرة لحماية والدتها المظلومة.

تكررت مضايقات الوالد عدة مرات في فترات متلاحقة، إلا أن إحداها كانت الشعرة التي قسمت ظهر البعير. في وقت العصر في يوم ما، عاد الأب لمنزله وتوجه لغرفة ابنته، كانت أحلام تعد دروسها لليوم التالي، وإذ بوالدها يدخل عندها ويوصد الباب بالمفتاح ويمزق عنها ملابسها وهي تصرخ، وضع الوالد سكيناً أمام عيونها ليهددها ضمنياً بالقتل! رضخت أحلام، إلا أن هذه المرة لم تكن كغيرها، فقدت أحلام زهرة طفولتها، واغتصبها والدها ناسياً الشرف الذي عايرها به من قبل، وأنه هو من أفقدها شرفها وعاملها كالحيوان الهائج.

أتم الوالد مهمته وخرج صارخاً بالأم، التي لم تستطع إدراك ما حدث، إلا عندما ذهبت لغرفة ابنتها ووجدتها عارية، تبكي وتنوح صامتة.

ضمت الأم ابنتها وبكت بحرقة، وفي لحظة، قالت أحلام لأمها أنها تنوي إخبار إخوتها، وعلى غير ما توقعت أحلام، رفضت أمها وبشدة، وقالت لها أن الستر من الله. لكن أحلام أصرت على موقفها وأخبرت أخاها الأكبر، الذي بدوره لم يصدقها، بكت أحلام وضربت نفسها ودعت الله أن يخلصها، فلجأت لأخيها الأصغر وأخبرته، فكان خير داعم لها، وقرر التقدم بشكوى للشرطة.

أحضرت الشرطة الوالد والأم وأحلام وأخويها، عرضوا كلاً من أحلام ووالدها على الطبيب الشرعي، وأثبتت التهمة عليه فحكم بالسجن. وما زال يقضي عقوبته حتى الآن.

تركت أحلام المدرسة، وها هي الآن تعمل خياطة في إحدى القرى. بائسة، ضعيفة، أخفى الزمن الغادر معالم جمالها.

غلطة من هذه، غلطة أحلام، أم غلطة مجتمع بأكمله، على الأقل أحلام أخبرت ما عندها وامتلكت شجاعة لتصرخ بالحقيقة وتدافع عن شرف عايرها به رجال متخلفون، وسلبوها إياه بكل حقارة.

لا بد من وجود العديد من الفتيات عشن تجارب تشبه تجربة أحلام. لكن، هل حصلن على حقوقهن؟ وهل وجدن من يدعمهن ويمنع إيذائهن؟.

مجتمع بأكمله بالرغم من تحضره بعض الشيء، إلا أنه ما زال يخفي معالم تخلفه في بيوت مستترة، وما زال يظلم الأنثى حتى في الأمثال الشعبية!.

ندوة عقدت عبر الفيديو كونفرانس

تأثير الحرب على النساء والأطفال في غزة ودور مؤسسات المجتمع المدني

رام الله - لبنى الأشقر

ما مدى تأثير الحرب على النساء والأطفال في غزة، وما يمكن لمؤسسات المجتمع المدني أن تقدمه للنساء هناك، وما هي التدخلات المطلوبة، تساؤلات عديدة وعناوين كبيرة حاولت الندوة التي عقدها طاقم شؤون المرأة الأسبوع الماضي عبرالفيديو كونفرانس، بين الضفة وغزة الإجابة عليها، اللقاء الذي حضره عدد كبير من الناشطات النسويات وعضوات المؤسسات النسوية، وممثلي مؤسسات المجتمع المدني، حاول تلسيط الضوء على الواقع الفعلي للمرأة هناك، وكيف يمكن دعم صمودها، ومحاولة مسح جراحها وتلبية أحتياجاتها على المستوى القريب وبعيد المدى.

الخبير التنموي تيسير محيسن، تحدث في مداخلة له في الندوة حول دور المجتمع المدني بعد الحرب على غزة، وعن الواقع الصعب والمأساوي الذي يعيشه الأهالي هناك، وأشار إلى حجم المعاناة التي يعيشونها في ظل فقدان بيوتهم، وفي ظل الإصابات العديدة والإعاقات التي أصابت المئات، محيسن أشار إلى أن هذا العدوان جاء لتكريس الإنقسام بين شطري الوطن، وليحاول قتل فكرة إقامة دولة فلسطينية كاملة السيادة، وذكر محيسن ببعض أهداف الحرب وخلق ذاكرة جماعية للفلسطينين، تذكرهم بالقتل وتشردهم إلى جانب قوة ردع للفلسطينيين والتهجير الجماعي لهم.

وأشار إلى أن الدمار إستهدف البنية التحتية بكل مكوناتها، فعمليات القتل والإعدام كانت تتم بشكل كبير للمدنين، خاصة الأطفال والنساء، والمفارقة التي تحدث عنها محيسن، أن أغلب الإجتياحات كانت للمناطق الأقل كثافة سكانية، وهي عبارة عن مناطق زراعية، لذلك فقد لحقت أضرار غير طبيعية بالقطاع الزراعي، فكل ما حدث في غزة يعد جرائم حرب، لم تتردد إسرائيل فيها باستخدام كافة أنواع الأسلحة والقذائف، وكل ما هو محرم دولياً، مثل الفسفور الأبيض، والمسألة اللافتة أن الأطفال والنساء هم الضحايا الأبرز في هذه الجرائم، بالإضافة إلى الآثار النفسية للحرب.

وأضاف: "نحن نرى أنه يجب التدخل على أكثر من صعيد: أولاً الإغاثة والإعمار من خلال الإيواء العاجل، نتيجة لفقد المنزل ومصادر الرزق خاصة الزراعة، وهناك ما يصعب الأمر من عدم توفر المواد اللازمة لإعادة الإعمار، وتقديم مواد عينية، إلى جانب الإرشاد النفسي، ومحاولة إخراج الناس وخاصة الاطفال والنساء من الصدمة، إضافة إلى إعادة الإعتبار للمسيرة التعليمية.

وثانياً عبرإعادة الإعمار الرمزي (المقصود به الإعمار السياسي)، حيث يجب أن يتم إستعادة وحدة الضفة وغزة، فلم يعد هناك مبرر للإنقسام السياسي والإنفصال بين غزة والضفة".

زينب الغنيمي مديرة مركز المرأة للاستشارات القانونية، أوضحت أنه فيما يتعلق بالمرأة على المستوى الشعبي، فإن النساء عانت من الحرب ونتائجها سواء بشكل مباشر، حيث كن ضحايا سواء شهيدات أو جريحات، أو أنهن أصبحن أرامل وثكالى، فالخسائر لا يمكن قياسها وحصرها من أثر نفسي ورعب وذعر، إلى جانب العديد من الأمراض، وأضافت الغنيمي: "قيل لنا في تقصي القضايا الميدانية، أن هناك العديد من النساء يستخدمن الحبوب المهدئة والمنومة، نتيجة الضغط النفسي، وهذا يوثر على صحة النساء على المدى البعيد، بالإضافة إلى كل الآثار التدميرية من فسفور وعمليات حربية، التي سوف تحفر عميقا على المستوى الصحي على المدى الطويل".

وأوضحت الغنيمي: "نحن لا نتحدث هنا من باب إستدرار العطف أو للإعلام، بل نتحدث لإيجاد آليات عمل وتدخلات عاجلة، فيما يختص بالعمليات الإغاثية الطارئة، هذه مازالت مستمرة وتقوم بها المؤسسات المسموح لها القيام بها، سيما أن المؤسسات أصابها حالة عجز حقيقي خلال الحرب، سواء على مستوى مراكز الإيواء وعدم القدرة على الوصول وتقديم المساعدة المباشرة، فلم نكن مستعدين سواء من ناحية التمويل أو طبيعة برامجنا وعملنا، وكذلك بسبب عدم استعدادنا المسبق لمثل هذا العدوان، لم تكن لدينا الطواقم الكافية لتقديم الدعم النفسي. وتحدثت الغنيمي عن ماهية الخطوات التي يجب أن تسارع إلى تطبيقها مؤسسات المجتمع المدني لإغاثة غزة، من خلال وضع خطة طوارئ لاحتياجات النساء، كصرف أقساط الجامعات للطالبات اللواتي تدمرت بيوتهن وهجرن هن وأهاليهن، إلى جانب تشغيل الطالبات لمساعدة الأهل، مثلاً أن يقمن بعمل دعم نفسي ويتقاضين رواتب، وأضافت الغنيمي: "لدينا مؤسسات تستطيع الوصول لجميع النساء، اللواتي يحتجن إلى دعم نفسي كبير الآن، نستطيع تقديم هذا الدعم من خلال المؤسسات والطالبات، وهكذا نكون قد استطعنا تقديم الدعم للمؤسسة والنساء والأسر. إلى جانب تقديم الدعم القانوني، حيث لدينا العديد من المشكلات القانونية، والتي فوجئنا بها بعد الحرب، من القضايا المتعلقة بالطلاق والإرث والحضانة والولاية، بالإضافة إلى الإنتهاكات ذات الطابع السياسي، والتي يتم الحديث عنها بشكل سري، أي أننا نحتاج إلى الدعم القانوني، وهو ما يعمل فيه المحامون والمحاميات على حد سواء".

د.اصلاح جاد في مداخلة لها أشارت إلى أنه يجب أن يكون هناك لجنة تنسيق بين المؤسسات في الضفة، من أجل توجيه الدعم لغزة.

فيما يرى المحامي كارم نشوان، أنه فيما يتعلق بالجانب الحقوقى والتنموي، ما جرى في غزة هو عدوان، لأن الحرب لم تكن من طرفين، وخرجنا من هذه الحرب بكوكتيل انتهاكات لحقوق الإنسان، لذا من المهم توثيق ما حدث، ونحتاج إلى شبكة مؤسسات للتوثيق، فكل مؤسسة توثق في مجال عملها، فمؤسسات مسؤولة عن الحق في الحياة، وأخرى عن الحق في السكن، وثالثة عن الحق في الصحة ..الخ من الحقوق التي انتهكت.

نادية أبو نحلة مديرة طاقم شؤون المرأة في غزة، أشارت إلى حاجتنا إلى وقفة لتحديد ما هي أولوياتنا كنساء، وأضافت: "يجب أن لا تغيب من حساباتنا حقوقنا كنساء، هنا يجب أن نطور قرارات وقوانين لأرامل الشهداء، بما يتعلق بالإرث والوصاية، يجب ألا نخطيء ونذهب إلى الإغاثة العاجلة، لأن هذا دور الأونروا والحكومة".

وبعد نقاش واسع من قبل المشاركين والمشاركات، خلصت الندوة إلى جملة من التوصيات، منها ضرورة رصد وتوثيق الإنتهاكات الاسرائيلية، وضرورة وضع خطة وطنية واضحة، من أجل تقديم الإغاثة الطارئة وبعيدة المدى للمواطنين في غزة، إلى جانب تنسيق الجهود بين المؤسسات النسوية ومؤسسات المجتمع المدني، من أجل التكامل في تقديم الدعم وعدم ضياع الجهود وتبعثرها عبر تشابة البرامج المقدمة، المشاركات رفعن توصية بضرورة أن لا تذهب المؤسسات النسوية إلى جهة الإغاثات العاجلة فقط، وأن يتجهن إلى برامج تشغيل طويلة المدى للنساء، ودعم الطالبات الجامعيات عبر تقديم أقساط جامعية لهن.

عام دموي جديد يا غزة

شيرين الزهار

عامٌ جديدٌ يمر على العالم، تحتفل به جميع الأقطار، كل حسب عرفه تقاليده وما اعتاد فعله ليلة الميلاد المجيدة، السهر وإشعال الألعاب النارية وزيارة الأحباب والأصدقاء إحدى هذه الطقوس.

واقعنا في غزة ليس شديد الاختلاف عن هذا الاحتفال، هو عامٌ جديد، سنة دموية تمر بأرض القطاع، رغبت إسرائيل أن تحتفل به على طريقتها الخاصة، بأن تشارك بها الغزيين لمدة ٢٢ يوماً متواصلاً من الدماء، فأشعلت في سمائها نيرانِ القذائف والقنابل وأوصلت الليل بالنهار ليطول السهر.

أرضاً وجواً وبحراً، هكذا زارت القوات الإسرائيلية غزة حاملة الهدايا القاتلة، لتخلف من ورائها ما زاد عن ألف بمئات من الشهداء، وعدد الجرحى تخطى الخمسةُ آلاف.

زرنا الأحباب والأقرباء هرباً وخوفاً من القذائف العشوائية، التي تتخبط في كل أرجاء وأركان القطاع، ليس هناك مكانٌ آمن في غزة، لجأنا للمدارس وتم استهدافها، لجأنا للمستشفيات بما فيها جمعية الهلال الأحمر وتم قصفها أيضاً، أين الأمان وجيش الاحتلال يستهدف الصغير والكبير، لا يرحم امرأة أو شيخاً مسناً، تعالت الحناجر تناشد بالرحمة، وما كنا نسمعه «سنعقد خلال الأسبوعين القادمين قمة لمناقشة قضايا غزة!»، ألم يصلهم بعد بأن إسرائيل قد أعلنت الحرب على القطاع؟!

هي ليست قضية قد تؤجل لأسابيع قادمة! هي نكبة أخرى متجددة على الفلسطينيين، والصمت العربي والدولي ليس بجديد..

أسلحة محرمةٌ دولياً وقنابل الفسفور في كل حي من أحياء القطاع تقذف، وأقل ضرر قد تسببه حروقٌ من الدرجة الثالثة.

من عايش حرب ٤٨ لن يجد اختلافاً كبيراً في الحرب الآنية، فقد شردت عائلات من منازلهم وقتل الأبرياء، وإذا نظرنا إلى غزة الآن فكأن إعصاراً أو زلزالاً مر بها، فجيش الاحتلال لم يبق على شيء بأرضها، إلا قد قصفه وأعاد القصف مرة أخرى.

عائلات كثيرة عادت إلى حيث تركت منازلها، فمنهم من وجد منزله ينقصه سقف أو حائط، ومنهم من اشتبه عليه بأن منزله كان هنا، أو خيل إليه بأنه في منطقة أخرى.

عائلات شردت بعدما كان لديها سقف يؤويها وفراشٌ لتنام عليه، والآن كل ما تبقى لديها ركام ذكريات منزل يعانق التراب.

رمز هجرتهم ...رمز عودتهم

روز شوملي

يبدو مخيم البقعة من الجبيهة، مثل صفوف من المنازل الصغيرة التي أقحمت قسراً. صفوف تزاحم بعضها البعض في أسفل الوادي. السيارة تهتز بين حين وآخر، وتبطىء تجنباً للحفر التي أحدثتها التحويلات الجارية على الطريق. المرة الأولى التي أزور فيها هذا المخيم، وأسئلة كثيرة تتراكض في رأسي: هل سأقبل هناك، هل موضوع التدريب حول الجندر سيلاقي صدىً وقبولاً من المتدربات والمتدربين؟

اهتزت السيارة هذه المرة بقسوة، القرطاسية والمواد التدريبية التي كانت في صندوق السيارة تحركت بقوة، فأحدثت صوتاً أرعبني للحظة. الأصوات الفجائية ما زالت تهتز داخلي وتعيدني سنوات إلى الوراء، حيث الصوت المفاجىء يعني قذيفة هاون أو انفجار بناية أو قصف الأف ١٦. لم أتخلص من دلالات هذه الأصوات، وفي كل مرة أقول تخلصت منها، أكتشف عند كل صوت مفاجىء أنها ما فتئت تطاردني. لم يكن سهلاً يوم أمس. كان عليّ أن أنهي ما عليّ من عمل في المكتب، قبل أن أتوجه إلى عمان، مستفيدة من التعديل الذي حدث في الشهر الماضي لإطالة ساعات الجسر حتى الرابعة بعد الظهر بدل الواحدة. أكره السفر. فقد سافرت كثيراً وبعدت عن الوطن طويلاً، دون أن يكون لي خيار فيما أفعل، والآن وقد عدت إليه أردته أن يكون محطتي الأخيرة. وطني تحول إلى سجن كبير، وأصبح الخروج منه ضروري من وقت لآخر لكي نتنفس، وما أن نتركه حتى نشعر به يشدنا إليه من جديد.

لم يكن سهلاً يوم أمس. وأصعب ما فيه كان اللحاق بآخر باص ينطلق من المعابر في أريحا في الرابعة. الدورية الإسرائيلية استوقفت السيارات في جبع. كان الوقت يمر بطيئاً وعيني على الساعة. توتري يزداد باضطراد بانتظار دورنا في التفتيش. وجدت في الهاتف سلوى تخفف من حدة التوتر، تحدثت إلى الكثير من الأصدقاء والأهل ومكان عملي، كي أتحايل على الوقت الذي يخطط له أن يهدر سدى في انتظار الدور.

كم طويل وقت الانتظار. يطمئنني السائق بأننا سوف نلحق بباص الجسر. أصبحت غير متأكدة من ذلك، لكن كلمات السائق المتفائلة خففت من حدة التوتر والقلق الذي كان يسيطر علي. نظرت إلى الساعة عندما وصلنا حاجز أريحا. انتبه السائق وقال بلطف: "سوف تصلين في الوقت المناسب. معنا نصف ساعة قبل أن يصل الباص الأخير إلى المعابر".

كان شهر أيار حاراً في أريحا أكثر مما هو عادة في مثل هذا الوقت. لم نشعر بمثل هذا اللسع الحراري في رام الله. كان علي أن أبحث عن الظل كي أحتمي من وقع الحرارة الريحاوية. تأخر الباص، وكان السبب هذه المرة قلة عدد الركاب. من الواضح أن الناس لم تصلها أخبار الإجراءات الجديدة، أو ربما أنهم أكثر حكمة مني ولم يضعوا أنفسهم في موضع اللاخيار. ماذا لو لم يكن هناك باص أخير!؟

وبانتظار الباص الأخير، اشتريت قسيمة الضريبة، وسجل الشرطي الفلسطيني اسمي في سجلات الخروج، كل شيء جاهز الآن ولم يبق سوى حضور الباص.

مر دهر قبل أن يصل الباص. تنفست الصعداء وأنا أراه يدخل بهوادة منطقة المعابر. عدد الركاب فيه لم يتجاوز الخمسة. حظي كبير أن يأتي الباص بهذا العدد القليل. حملت الكمبيوتر المحمول وحقيبة يدي واخترت المقعد الذي سأجلس فيه بعناية. للمرة الأولى يكون لي امتياز اختيار مقعد في باص الجسر. عادة أرضى بأي شيء، وفي معظم الأحيان أقف في الباص بسبب الزيادة في عدد الركاب عن عدد المقاعد. أخذت مكاناً في الجزء الأيسر من الباص، حيث الشمس لا تصل. وبانتظار أن يغادر الباص منطقة المعابر قمت ببعض الإتصالات، حيث بعد هذه النقطة يتوقف "الجوال" عن الفعل.

السيارة تصل مدخل البقعة. طريق ضيقة لسيارة واحدة، فكيف إذا ما كان هناك سيارتان. تبطىء السيارة أكثر، تفتح شيرين من منظمة الدياكونيا مفكرتها لترى العنوان الذي سيكون فيه التدريب. تقول للسائق: "هنا هنا". بعض نسوة تجلس على مقاعد بانتظار شيء ما. علمت فيما بعد أننا أمام مركز صحي للوكالة. تبعت شيرين التي كانت تحمل العنوان، وتقاسمنا المواد التدريبية والكتب ومشينا باتجاه مركز التأهيل المجتمعي.

كان عليّ، رئيس لجنة مركز التأهيل المجتمعي، بانتظارنا. تعرفت عليه في الليلة الماضية حيث جاء للسلام علينا وإعطائنا فكرة عن المركز. لم أكن في كامل تركيزي يوم أمس فقد أرهقني القلق والإنتظار، وزاد الطين بلة، أن المواد التي شحنتها لاستخدامها في التدريب لم تصل كما كان متفقاً. واستهلكت أعصابي مع عشرات الإتصالات قبل أن أرى المواد أمامي في غرفة الفندق.

صوت عليٍّ أعادني من جديد إلى مخيم البقعة، إلى المركز الذي سنقوم فيه بتدريب العاملين والعاملات في برنامج التأهيل المجتمعي للمعاقين، في المخيمات الفلسطينية في الأردن. فرحت لفكرة أن المركز قائم على العمل الطوعي، وسعدت بما تقوم به اللجنة من أجل تامين استمرارية المركز واسستمرار خدماته.

كان في عينيّ عليّ سؤال. وفي لحظة صمت شعرت بأن سؤال عليّ صار ملحاً. نظر إليّ سائلاً: هناك أخرى اسمها على اسمك، وهي شاعرة، هل هي من العائلة، صمَتَ قليلاً قبل أن يضيف: "أم أنها أنت؟" ابتسمت قليلاً رافعة يدي، فقال مبتسماً، أردنا أن نعرف شيئاً عنك ففوجئنا بشاعرة. عليك أن تسمعينا شيئاً.

بعد لحظة دخل المكتب رجل يتلمس طريقه بحذر. عرّف عليه عليّ قائلاً: "الأستاذ عدنان، مدير مركز البقعة للتأهيل المجتمعي".

الأستاذ عدنان بحث بيديه عن كرسي يجلس عليه، فيما استمر عليٌّ بالتعريف على المركز. عليّ أشار إلى الدور الذي لعبه المركز في تقديم الخدمات لذوي الإحتياجات الخاصة، وكيف ساهم في نشر المعرفة والوعي في المخيم وفي تغيير النظرة النمطية للمعاقين.

قادنا عليّ الى قاعة التدريب، وكان بانتظارنا فيها مجموعة من الفتيات، عرفت منهن أنهن يمثلن كل مخيمات الأردن، وعندما سألت عن وجود متدربين من الذكور، ضحك الأستاذ عدنان قائلاً: "واحد فقط، أنا".

كنت مثل انسان يقف مبهوراً أمام حدث كبير، وأصغي إلى كل مشاركة وهي تتحدث بحب كبير عن عملها. وأكثر ما كان لافتاً هو هذا الفخر والإعتزاز بالعمل الطوعي، الذي يقمن به في المخيمات حيث يعملن. كانت لهن توقعات عن الدورة حول النوع الإجتماعي التي نسقت لها ومولتها مؤسسة الدياكونيا السويدية. قالت سوسن: "إدخال تغيرات في البرامج"، وعقّبت نعمة: "نريد تغيير اتجاهات". ماجدولين قالت: "تبادل الخبرات يفيدنا على الصعيد العملي والشخصي". أما الأستاذ عدنان والذي كانت المشاركات يخاطبنه بلقبه "أبو غالب" قال: "مهم أن نعمل على تعديل أنظمتنا التنفيذية بما يخدم عدم التمييز وتقليل الفجوة الجندرية".

كانت إجابة أبو غالب غير متوقعة لرجل وحيد في دورة جميعها من الإناث. وكانت إجابته تدل على وعي بموضوع التدريب. وكان لوجوده أكثر من نكهة، فهو صاحب نكتة، وجعبته مليئة بالحكايات، وبقصص المعتقل والتعذيب، الذي نتج عنه فقدان نعمة البصر. أبو غالب صامد على مبادئه التي اعتقل من أجلها وعذّب. تساءلت بيني وبين نفسي عن طبيعة علاقته بأسرته، بخاصة أن الكثير من المناضلين يفصلون بين الفكر السياسي والفكر الإجتماعي. لكني استنتجت من حكاياته ومن شهادات المشاركات في الدورة، أن تخوفي ليس في محله، فقد خالف أبو غالب، بعلاقته الرفاقية بشريكة حياته، كل الصور النمطية للعلاقة بين المرأة والرجل.

كان التدريب فرصةَ لي كي أتعلم منهن ومنه، واستخدمت كافة الوسائل كي تصبح عملية التدريب عملية اكتشاف للذات، واستنتاج للمفاهيم، وملاحظة لطبيعة العلاقات الإجتماعية. قال الأستاذ عدنان: "حضرت دورات كثيرة، لكن لم أشهد مثل هذا الكم من التحضير والمواد التدريبية"، قالت إنعام: "أخذت دورات كثيرة، لكن هنا شيء جديد، استخدام الأدب في تعلم المفهوم، طريقة رائعة في استنتاج المعرفة، ما تعلمناه من خلال الكاريكاتير في ساعة يحتاج إلى ثلاثة أيام بالطريقة التقليدية". نعيمة قالت: "نشكرك لأنك تركت لنا مجالاً لنكتشف ونستنتج، نشعر أن المادة طلعت منا". ماجدولين قالت: "هذه الدورة غير نمطية، فتح الخيارات أمراً له أهميته بالنسبة لي، نستطيع تغيير الإتجاهات". سوسن قالت: "الآن نرى الأشياء بطريقة مختلفة". أما الأستاذ عدنان فقال: "هذه الدورة أوصلتنا إلى المفاهيم، الآن بحاجة إلى إدماج المفاهيم في عملنا".

كانت كافة التعليقات تلمس شغاف قلبي، وبذلت جهداً كبيراً كي لا يغلبني الإنفعال. لكن حينما سلمني الأستاذ علي درع حنظلة معلق به مفتاح بيت قديم في فلسطين، سكن طويلاً في مخيم البقعة، غمرني شعور عارم بانفعالات قوية من جهة ورقيقة من جهة أخرى. فمن جهة، كنت في مخيم البقعة، ومرت ذكرى ١٥ أيار وأنا في منتصف الدورة، وقد ولد هذا التواجد في نفسي الكثير من العواطف، بخاصة أن هذا المخيم هجر أهله مرتين: مرة في نكبة العام ١٩٤٨، ومرة أخرى في نكسة ١٩٦٧، وهم ما زالوا محتفظين بمفاتيحهم. شعرت بالخجل لهذا التكريم الذي لم أحلم به، وبالامتنان لكل مشاركة وكل القائمين على هذا المركز، لأنهم جعلوني أشعر أني واحدة منهم، وكرّموني مرتين: مرة حين استضافوني بينهم، ومرة حينما قدموا لي رمز الهجرة، مع رمز العودة في لوحة واحدة.

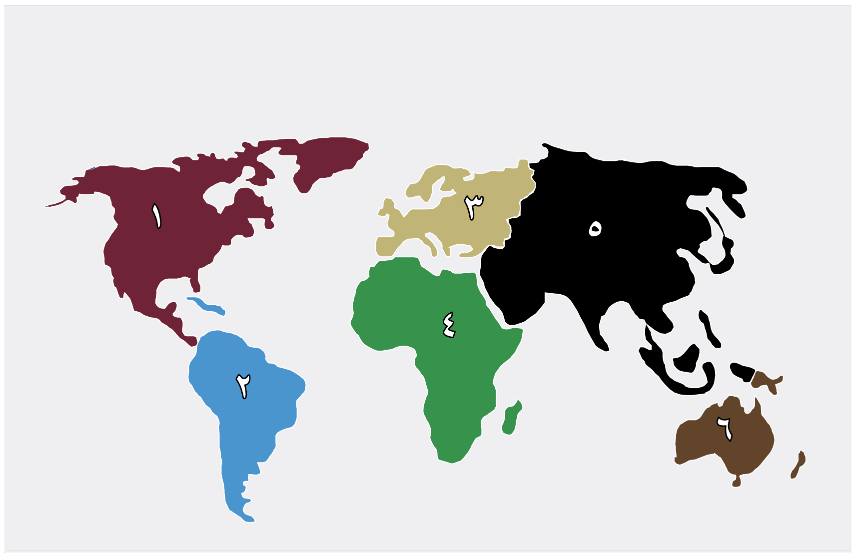

نساء وأخبار

تعيين قاضيتين شرعيتين

٤ فلسطين: قال رئيس المجلس الأعلى للقضاء الشرعي الفلسطيني، أنه تمت المصادقة على تعيين أمراتين كقاضيتين شرعيتين، للمرة الأولى في تاريخ القضاء الشرعي الفلسطيني. وأضاف: "هناك اجماع من الفقهاء المعاصرين على ذلك (تعيين المرأة قاضية شرعية)، والمرأة تبوأت الكثير من المناصب الأهم، بالإضافة إلى أن قضاء الأحوال الشخصية يتعلق بالمرأة وحياة المرأة والاسرة. والمرأة اقدر من غيرها". وقال: "أنا أدرس في كلية الحقوق وكلية الشريعة، وأجد أن النساء أكثر تفوقاً في المجال العلمي، لهذا نجد أن من تقدمن للامتحان للمسابقة القضائية تفوقن في هذا المجال. وترى المحامية خلود الفقيه التي ستكون إلى جانب المحامية أسمهان الوحيدي أول امرأتين تعملان كقاضيتين شرعيتين في ذلك تحدياً كبيراً. وقالت: "هذا العمل يشكل تحدياً كبيرا، فبعض المحامين الذين أنا جزء منهم، يرفضون هذه الفكرة (أن تكون المرأة قاضية شرعية)، إضافة إلى وجود بعض مشاعر الإستياء من بعض الموظفين في المحاكم الشرعية".

وتستبعد الفقية الحاصلة على المرتبة الأولى من كلية الحقوق في عام ١٩٩٩، والتي تعمل كمحامية أمام المحاكم الشرعية منذ عام ٢٠٠١، أن يكون لكونها امرأة أي تأثير على أحكامها في قضايا الأحوال الشخصية، التي عادة ما تكون متعلقة بالزواج والطلاق وحضانة الأولاد.

وقالت: "لا شك أن المرأة تتفهم أكثر لمشاعر الأمومة والمشاعر الخاصة بالأنثى، أما على الصعيد القانوني، لن يكون هناك فرق إذا كان القاضي رجلاً أو إمرأة". وأضافت: "هناك بعض القضايا التي قد تتحرج المرأة من الحديث بها للقضاة، سيكون الباب مفتوحاً للحديث فيها مع القاضية الشرعية". وأوضحت الفقيه أن تعيين امرأة في القضاء الشرعي الفلسطيني، يأتي تتويجاً لعمل استمر منذ سنوات، وأن هذا نصر للحركة النسوية الفلسطينية المناضلة".

يرفض تمديد إقامتها ويحتفظ بجواز سفرها

٥ قطر: امرأة قطرية تعيش فصول مأساة متسلسلة بسبب طليقها، الذي يتعنت باستخدام حقه الأبوي، فبعد أن حجب النفقة عنها وتركها تعيش مع أطفالها في مسجد، إلى أن آوتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية"، ما زال يرفض منذ عام ٢٠٠٥ وحتى اليوم تجديد إقامة ابنته الأولى، التي تبلغ من العمر ٦ سنوات، مما أدى إلى حرمانها من حقها "بالتعليم والرعاية الصحية"، بالإضافة إلى حجزه جواز سفرها، رغم أنّ البنت تحت وصاية الأم. وقالت الأم لـ الشرق إنَّ "طليقها يعاقبها على طريقته، ويعاقب ابنتيه أيضا"، مضيفة: "لقد توسلت إليه مدة عام ونصف حتى يعطيني جواز سفر ابنتنا، ويمدد إقامتها، لكنه يرفض ويراوغ، يعد ولا ينفذ".

وذكرت أنَّ الأمر لا يتوقف على ابنته الأولى، بل إنَّ ابنته الثانية من دون جواز سفر أو إقامة، عمرها ثلاث سنوات، مما يحرمها أيضا من حقها بالرعاية الصحية.

وطالبت المواطنة الجهات المختصة "بإجبار الأب على تمديد إقامة ابنته الأولى، واستخراج جواز سفر لابنته الثانية، مما يمكنهما من الحصول على حقهما بالرعاية الصحية، ناهيكم عن حقهما بالتعليم".

ويُذكر أنَّ الأب مقيم في قطر، ولديه خمسة أولاد من طليقته، ٣ منهم تحت رعايته، وإثنان بوصايتها.

الأزهر يوافق على أول تفسير للقرآن الكريم تقوم به امرأة

٥ مصر: في سابقة تعد الأولى من نوعها، وافق مجمع البحوث الاسلامية على طبع وتداول أول تفسير للقرآن الكريم تتقدم به امرأة، تمهيداً لطرحه في الاسواق. وأكد الشيخ علي عبد الباقي، الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية، أن المجمع وافق على تفسير القرآن الكريم الذي تقدمت به كريمان حمزة، المذيعة السابقة للبرامج الدينية في التليفزيون، مشيراً إلى أنه لم يرد في نصوص هذا التفسير ما يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية، كما تمت مراجعته بدقة قبل اتخاذ قرار الموافقة. وذكرت صحيفة المصري اليوم، أن التفسير يتوافق تماماً مع ما جاء في كتب تفسير القرآن الكريم، ولا يوجد به ما يناقض أو يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية وأن المجمع يوصي بالموافقة على طبعة وتداوله في الأسواق، وحول موقف الشريعة الإسلامية من مدى جواز تفسير النساء للقرآن الكريم، قال عبد الباقي: "لا يوجد تفسير رجالي وتفسير نسائي للقرآن الكريم، وإنما المهم عندنا أن يتوافق التفسير مع نصوص القرآن الكريم، ولا يتعارض مع الشريعة الاسلامية.

ومن جانبها أعربت كريمان حمزة عن سعادتها الكبيرة بموافقة مجمع البحوث الاسلامية على التفسير الذي قدمته للقرآن الكريم.

وقالت: "اعتمدت في التفسير الذي قدمته لمجمع البحوث الإسلامية على التبسيط والوضوح في الشرح والتفسير، حتى يستطيع صغار السن فهمه واستيعابه، لافتة إلى أنه يحمل عنوان الواضح في تفسير القرآن للشباب والشبيبة وقالت: إن هذا التفسير أبتغي به وجه الله تعالى وخدمة الإسلام والمسلمين.

تعين أول مأذونة شرعية للزواج

٤ الإمارات: عينت الإمارات أول مأذونة شرعية للزواج في دائرة القضاء في أبوظبي، في أول خطوة من نوعها في منطقة الخليج. وذكرت الالصحف أن دائرة القضاء في إمارة أبوظبي اتخذت "قراراً بتعيين فاطمة سعيد عبيد العواني (٣٣ عاماً)، بوظيفة مأذون شرعي. وأن القرار يأتي بموجب إيعاز السلطات "بضرورة تعزيز دور المرأة بصفة عامة في المجتمع، وإشراكها في كافة الوظائف المناسبة لطبيعتها، وفقاً لما هو معمول به من قوانين في الإمارة، وبما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية".

وأضافت أن فاطمة العواني في ديوان المحكمة في أبوظبي ستعمل على "ممارسة عملها خلال ساعات الدوام الرسمي، وفق الضوابط الشرعية ذات الصلة".

وكان رئيس دولة الإمارات الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، أصدر بصفته حاكماً لإمارة أبوظبي، مرسوماً أميرياً بتعيين خلود أحمد جوعان الظاهري، قاضية ابتدائية في أبوظبي، لتصبح أول امرأة تعين في سلك القضاء في الإمارات. وتعتبر الإمارات الدولة الخليجية الثانية، بعد البحرين، التي تسمح للنساء بممارسة مهنة القضاء. وتضم الحكومة الاماراتية أربع وزيرات، بينما تشغل النساء تسعة مقاعد من أربعين في المجلس الوطني، الذي يتألف نصفه من أعضاء منتخبين.

سؤال: الإعلام المحلي من يتحمل مسؤولية أدائه؟!

بقلم : زلفى شحرور

طرحت معركة غزة وما تلاها السؤال ذاته،الذي يطرح بعد كل معركة يخوضها الفلسطينيون هل قام الإعلام المحلي بواجبه، وما هي الأسباب التي حالت دون قيامه به على الوجه الأكمل.

السؤال ذاته، وأدوات الحل ذاتها، ولكن الجديد في هذه المعركة، وما يعطى للسؤال شرعية أكبر، هو تضارب الرسائل التي كان يوجهها الإعلام الفضائي، والذي عكس صورة الخلافات العربية والانقسام الفلسطيني، وما هي الرسالة الفلسطينية المطلوبة، في ظل هذا الانقسام وهذا العدوان الإجرامي ضد غزة، وهو ما يعطي للسؤال وللحل أهمية استثنائية في ظل أسئلة المرحلة الجديدة والنوعية في حياة الشعب الفلسطيني.

ورغم أهمية السؤال في هذا الظرف، الا أننا وجدنا اننا ندور في ذات الحلقة من الحلول، نفس التوصيات ودائما ذات الأسلوب في الحل، دون أن نضع أصبعنا على المشكلة الحقيقية، لا خوفا من مواجهتها، ولكن بسبب طبيعة التركيبة المؤسسية الفلسطينية، والتي تقوم على المحاباة وتغليب المصلحة الشخصية على المصلحة العامة، وتعكس هذه الحسبة نفسها في التشخيص حتى من قبل الصحافيين أنفسهم، الأكثر معاناة في هذه المعادلة.

ويجمع المستوى السياسي والشعبي، على أهمية دور الإعلام وفعاليته، خاصة وأنهم خبروا قيمته في الانتفاضة الأولى والثانية، ويغيب عنهم دائماً أن الفعل لم يكن للإعلام، بل الفعل كان سياسياً وجماهيرياً، وأعطى للإعلام مادة للتغطية، وللصحافي نفسه الحافز للمغامرة لنقل البطولات التي كانت تسيطر على الأرض ونقل المجازر، ويتوحد معها ويصبح جزءا منها، وهو ما خلق هذا اللبس في دور الإعلام.

الإعلام يستطيع تضخيم أي حدث ولكنه لا يستطيع صنع الحدث، الإعلام يذهب للحدث لنقله، لمتابعته، ولكن الإعلام لا يقوم بدور المسؤول، ولا بدور المستوى السياسي.

وسؤالنا اليوم كيف يمكن للإعلام أن يعمل في معركة وحدانية تمثيل منظمة التحرير التي طرحها مشعل وقبلها معارك غزة، وفي نفس الوقت يؤكد على الوحدة، ويدافع عن الحريات الفردية والحزبية في غزة والضفة على السواء، إذا لم يزود بمعلومات حقيقية موثقة وتسريبات صحافية، وإذا لم يدع لتغطية عشرات المؤتمرات الصحافية اليومية، وتعليقات المسؤولين، لتكثيف الرسالة الإعلامية بدل الإكتفاء بالبيان الرسمي، والذي دائما يكون أضعف بكثير من المؤتمر ومن التصريح.

لم نشهد في هذه المعركة حمى مؤتمرات صحافية، مؤتمرات توجه ذات الرسالة وتكثفها، ودورها فقط وفقط جدا،احتلال حيز في التغطية الإخبارية، لم نشهد مؤتمرات وورشات برامج وثائقية، شهادات شخصية لأصحاب هذه التجربة، وظيفتها الحديث عن دور وتاريخ المنظمة المستهدفة في وحدانية تمثيلها للشعب الفلسطيني، وفي تاريخها لتغيبه وإحلال تاريخ الآخرين بديلاً عنه وسرقته.

لم نر استخداماً حقيقياً لتاريخ نضالات هذه المنظمة وإظهاره، رغم أن فضائيات عربية استخدمت تصريحات للأب الروحي لهذه التجربة، الزعيم الراحل ياسر عرفات لخدمة أهدافها وأغراضها، خاصة تلك المتعلقة بالبعد الإسلامي للقضية الفلسطينية.

الرسالة الإعلامية لا تقف عند بيان صحافي وكفى الله المؤمنين شر القتال، الرسالة الإعلامية تستدعي تجنيد عشرات الناطقين الإعلاميين، وعشرات المؤتمرات الصحافية، ومئات اللقاءات الصحافية مع مسؤولين من الدرجة الأولى، وهو غير متوفر إلا لوسائل إعلامية محددة.

وهذه جميعاً أدوات للتعبير عن موقف، وقبلها يحتاج المستوى السياسي إلى تحديد الموقف والرسالة التي يحملها الإعلام لنقلها، ولا يصنعها الإعلام، ويعبر عنها بتوجيهات واضحة لوسائل إعلامه من تلفزيون وإذاعة ووكالة رسمية وجريدة يومية، بالعناوين التي يجب التركيز عليها، وهي ذات الرسالة التي توجه للمسؤولين والناطقين الإعلاميين لحملها، لتتحول إلى معزوفة متناغمة من التصريحات والمقابلات والمقالات والتحليلات السياسية.

بعد كل معركة يعود المسؤولون الفلسطينيون لطرح مشكلة التلفزيون، وضعف أدائه، وفي كل مرة، يبحثون عن أسباب جديدة، أو تفسيرات جديدة، مرة تعزى لضعف الإمكانيات البشرية، ومرة تعزى لأسباب فنية وتقنية، ومرة لأسباب مالية، وهكذا، وفي كل مرة نعود لإنتاج الفشل من جديد، لأننا لم نضع إصبعنا على الجرح، لم نسأل أنفسنا هل تعمل المؤسسة «كفريق» واحد، هل تعمل المؤسسة بتوجيهات يومية تضع خطة عمل يومية، ولا يخرج المذيع كما يحصل في تلفزيون فلسطين إلى لقاء مسؤول، بدون أي فكرة عن الموضوع الذي سيتحدث عنه، ويضيع الموضوع ويشتت الضيف ويدفعه لتقديم رسالة مشوشة وربما عكسية، أو يناقش المذيع الضيف بناء على توجهاته هو، أفكاره هو، ونجد وكأن من يواجه الضيف هو من حماس أو من أنصارها، ويضطر الضيف اذا كان ذكياً للإجابة على أسئلة يفترضها أو ينجر إلى أرضية المذيع.

ولا يعني هذا بأي حال من الأحوال أن أداء المؤسسات الإعلامية أفضل بكثير من التلفزيون، لكن هناك حساسية أعلى في العمل التلفزيوني لأنه لا يتوجه لفئة محددة ولا يستهدف وعياً معيناً، بل يحمل رسالته لكافة افراد المجتمع رغم تباين مستويات وعيهم وثقافتهم وتعليمهم.

مسؤولية من هذه القضايا!؟ لماذ يغيب الإعداد والمراقبة، وتغيب هيئة تحرير التي تضع خطة يومية للعمل، وتتابع الإعداد الجيد، فالعمل الإعلامي إنجاز جماعي، ولا يوجد فيه بطولات فردية.

النجاح في الإعلام، لا يحتمل التجريب أكثر من مرة، فإذا فشلت في إصلاح جسم ما، عليك إما إعادة بنائه من الأعلى نحو الأسفل من جديد، وتحديد مهامه ومسؤولياته من جديد، والعهد بإداراته لإدارة جديدة ومن خارج الجهاز، واتباع سياسة العقاب والثواب، أو إنتاج جسم جديد والإبقاء على القديم كما هو، فما الذي يمنع الفلسطينيين من اطلاق فضائية فلسطينية من دبي، من لبنان، وبطاقات مهنية عربية، وظيفتها الترويج لبرنامج السلطة والدفاع عنه بصورة مهنية.

ما الذي يمنع الفلسطينيين من الصرف المالي على الإعلام بطريقة تسمح له بالمنافسة، لماذا تغيب الصحف الأسبوعية، واليومية المتعددة، وتحل محلها الملاحق التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وتشكل مادة دعاية للمؤسسة التي تصدرها. ما الذي يمنع الناطقين باسم السلطة الوطنية، وكل المتحدثين باسمها من نقل ذات الرسالة، وذات الموقف، ولماذا يجتهدون في المواقف أمام الفضائيات ويشوشون رسالتهم، وكأنهم في حالة ضياع، متناسين أن المرحلة تفترض منهم توجيه رسالة قصيرة مكثفة واضحة، لا تستدعي الشرح.

لماذا لا يتم تعليم هؤلاء الناطقين والمسؤولين في دورة حقيقية كيف يوجهون رسائلهم إلى العالم، ويتخلون عن الأسلوب الباهت والبطيء في التعبير عن رسائلهم، وتغيب عنهم الحيوية، وكأن لا مشكلة في حياتهم، وهو ما يشوه رسالتهم ويضعفها.

لماذا لا يتم العمل على تأهيل عشرات الناطقين الإعلاميين ، المعبرين عن موقف السلطة كل في موقعه، في الخارجية، في الداخلية وغيرها، لم لا يوجد أكثر من ناطق باسم السلطة كل معني بقضية محددة، وباسم منظمة التحرير كذلك، من الجيل الشاب، بدلاً من نفس الوجوه التي نراها في ذات نشرات الأخبار اليومية، بهدف التنويع وتحفيز الاستماع للجمهور.

فشل الإعلام أو نجاحه هو مسؤولية المستوى السياسي بجمعه، لا مسؤولية فردية لهذه المؤسسة أو تلك، فاذا لم تستطع المؤسسة الرسمية تقييم أداء عمل مؤسساتها الإعلامية المسؤولة عنها المباشرة أو القريبة منها وتتلقى دعماً منها، فإنها لن تستطيع مداواة جرح الإعلام، وهو الجرح الذي يئن الكل من ضعف أدائه، ويتبارون في التسابق لإيجاد الحلول ولكن من ذات الأرضية وبنفس الشخوص.

إعلاميات فلسطينيات... تجربة وإبداع

قراءة: محمود الفطافطة

عادة ما تتم الكتابة حول دور الإعلاميين، لكن قلما تتحدث الإعلاميات عن تجاربهن، خاصة فيما يتعلق بموضوع حرية الرأي والتعبير. ولكن دراسة «إعلاميات فلسطينيات: تجربة وإبداع»، التي أعدتها الإعلامية نبال ثوابتة، لصالح مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، سدت هذا النقص من خلال ما قامت به من بحث وتوثيق شهادات لإعلاميات، مررن بتجارب مختلفة في تفاصيلها، مشتركة في كونها تتحدث عن علاقة الصحافي بمحيطه.

هذه الدراسة، التي تقع في ١٦٢ صفحة من القطع المتوسط، ونشرت مؤخراً، لم يكن القصد منها توثيق تجارب شخصية بالمعنى «الأناني»، وإنما وضع تجربة هؤلاء الصحافيات كمؤشر لمدى تقبل المجتمع لفكرة العمل الإعلامي بشكل عام، ولمدى تقبل وفهم المجتمع لحرية الرأي والتعبير، وكيف ينظر الآخر «غير الإعلامي» للإعلام والعاملين فيه، خاصة الإعلاميات.

وبما أن عدد الصحافيات الفلسطينيات العاملات في مؤسسات محلية وعربية وأجنبية يبلغ ٣٢٠ إعلامية، وفق قائمة أعدها فريق عمل، فإن التطرق إلى مجمل هذا العدد صعب جداً، لذا فقد وقع الاختيار على عينة قصدية مبنية على قناعة بأن من يقع عليهن الاختيار، لديهن ما يقلنه حول موضوع حرية الرأي والتعبير، ومن صاحبات المعارك الإعلامية المشرفة، مع الاعتراف بالإنجازات المشرفة للأخريات، وعدم التقليل من شأنهن. المعايير والمحددات المادية والبحثية، هي التي حكمت مضمون الاختيار وعدده، فكان العدد اثنتي عشرة إعلامية فقط. كما أن هنالك معيارا ثانياً . بعد العدد . وهو المعيار الجغرافي، إذ أنه يوجد منطقتان جغرافيتان: الضفة وغزة، فقسم العدد مناصفة بين المنطقتين. وبعد ذلك تم الانتقال للمعيار المهني، بأن تكون الاثنتا عشرة إعلامية ممثلات لوسائل إعلامية مختلفة، ويعملن في مؤسسات محلية وعربية وعالمية. ووفق هذه المعايير الثلاثة، تم اختيار الصحافيات الاثنتي عشرة، ليتوزعن على الشكل التالي:

*الإعلام الحكومي «الإذاعة والتلفزيون»: مها عواد من صوت فلسطين، وهبة عكيلة التي عملت تسع سنوات في تلفزيون فلسطين قبل أن تنتقل لـ «الجزيرة».

* الإعلام العربي: شيرين أبو عاقلة من قناة الجزيرة، ورهام عبد الكريم من قناة العربية.

* الصحف المحلية: نائلة خليل من «الأيام».

*الوكالات العالمية: وفاء عمرو من رويترز، وماجدة البطش من وكالة الأنباء الفرنسية.

*الإذاعات المحلية: ميسون مناصرة من راديو أجيال.

*وكالة معا والتلفزيونات المحلية: ناهد أبو طعيمة.

* محطات التلفزة العالمية: نضال رافع من «سي أن أن».

*محطات الإذاعة العالمية: الفت حداد من راديو سوا.

الإعلاميات المستقلات: دنيا الأمل إسماعيل.

وفيما يتعلق بأسئلة المقابلات، فشملت جملة محاور أساسية، انطلقت أولها من السؤال حول البدايات الأولى لانخراط الإعلاميات في المهنة، وطبيعة التقرير الأول الذي أعددنه، ثم الانتقال لمحور «استحقاق الأفضل»، تضمن إجابة الإعلامية حول تجربتها في المؤسسة التي عملت بها، ومدى الاستحقاق والارتقاء الذي وصلت إليه.

والمحور الثالث اشتمل على سؤال: لماذا ليس لدينا رئيسات تحرير أو محررات أو كاتبات العمود، حيث إن مجمل الإجابات عن مثل هذا السؤال مرده «أن المرأة لا تعطى الفرصة ولا الدعم، ولا تُبعث للتدريب، ولا تحصل على فرصة متكافئة مع الرجل الإعلامي». ومحور رابع تطرق إلى المجتمع وحرية الرأي والتعبير، وآخر إلى الحياة الاجتماعية للإعلامية. ومحور آخر عنوانه «الرجل المسؤول»، ويقصد بذلك طبيعة علاقة الإعلامية برئيس التحرير. وهنالك محور عنوانه «الشخصيات السياسية والاعتبارية» ركز على مدى العلاقة الثنائية بين هذه الشخصيات والإعلامية. أما المحاور الأخرى، فتضمنت: حرية الرأي والتعبير، الرقابة، التهديدات والمضايقات، العلاقة مع رجال الدين، دور نقابة الصحافيين ووزارة الإعلام.

تمثل دراسة نبال ثوابتة مساهمة متميزة ونوعية، خاصة وأنها الأولى من نوعها في هذا المجال، وبالتالي تشكل مرجعاً علمياً، خاصة في ظل اشتمالها على قائمة كبيرة تضم ٣٢٠ إعلامية، يعملن في وسائل ومؤسسات إعلامية محلية وعربية وأجنبية. هذه القائمة التي ثبتت أسماء تلك الإعلاميات، وأماكن عملهن وطبيعته أيضا، لم تكن موجودة في الأصل لا لدى وزارة الإعلام، ولا لدى نقابة الصحافيين الفلسطينيين أو غيرها من المؤسسات.

خلاصة القول: هذه الدراسة تؤكد أن المجتمع الفلسطيني استطاع أن يخرج عدداً كبيراً من الإعلاميات، اللواتي حفرن لأنفسهن أسماء وتجاربَ متميزة في عالم الإعلام، ليس على المستوى المحلي والعربي فقط، بل على المستوى العالمي. هذه الدراسة تبرهن أن المرأة كالرجل لديها القدرة في خوض المعارك الإعلامية وتحقيق انجازات كبيرة، وإن أعاقتها عوامل أساسية، كالقيام بمهام الشؤون العائلية أو نظرة المجتمع.

واقع جديد لطلبة المدارس في جناحي الوطن

سهير قاسم

هي الحرب التي تدمّر طموح الأطفال، تسبب لهم الذّهول، تحلّق بعقولهم في سماء أخرى مختلفة عن واقعهم، لم تمض أيام قليلة على وقف الحرب الهمجية على غزة، ها هم الطلبة يعودون إلى المدارس التي سكنوا فيها أوقاتاً عصيبة، بضعة أيام في ظل أسرهم وجيرانهم أثناء الحرب، وطلبة الضفة كذلك يستعدون للذهاب إلى مدارسهم، عليهم جميعاً أن يعودوا إلى الكتب والمقررات الدراسية، لقصص التاريخ واللغة العربية والرياضيات، أما كتب العلوم فإنها تحدثهم عن التكنولوجيا الحديثة والمتطورة، تلك الحضارة المتطورة التي عاشوا اثرها عن قرب، تكنولوجيا ومعدات متطورة جرّبت عليهم، داست أجسادهم العارية، حولتهم لأشلاء. هؤلاء الأطفال في مهب الريح، كيف يمكنهم أن يميزوا ويفرقوا بين الغثّ والسمين في عالم غريب عجيب، يقف بكل قوة إلى جانب الظلم والعدوان. ما ذنب هؤلاء الأطفال إلا أنهم فلسطينيون!.

نتساءل وسط هذه الأجواء، هل تُهيّأ لهؤلاء الطلبة ظروف مدرسية تساعدهم، على الأقل، في تجاوز تلك الليالي المريرة التي مروا بها؟ شتان ما بين الجانبين النظري والتطبيقي، كتبهم الدراسية تختلف عما شاهدوه، هي مليئة بالمثل والقيم، لكنها تغاير الواقع الذي يعيشون! هم الأطفال من طلبة فلسطين عامة وغزة تحديدا، لم يكن ذلك بجديد عليهم، لكنه قاسياً ومريعاً، انتهى الفصل الدراسي الأول، يعودون إلى مقاعدهم، تخلل ذلك فاصل وواقع أليم، ذاك الطفل رأى والده يقف باكياً عاجزاً عن مساعدته، لم يقو على مساعدة ذويه أو جيرانه، أين المفر؟ الأم باكية والجد باك وغيرهم الكثير! انهالت على رؤوسهم الصواريخ في كل أرجاء المكان، لا قدسية لشيء أو أحد.

ماذا يقول المعلمون لهؤلاء الطلبة؟ عليهم أن يكونوا مرشدين لهم، لا يجوز إبراز الصراعات، على عاتقهم المهام الجسام، والتجرّد من رداء الحزبية عند دخول المدارس والغرف الصفية حفاظاً على الأطفال، وحماية للمجتمع الفلسطيني.

الطلبة يحتاجون إلى رعاية خاصة من جهات عديدة، قبل أيام قليلة كانوا ينامون على صوت القصف والدمار الذي شتتهم، اليوم هم مطالبون بالعودة إلى مقاعدهم، وأن يحفظوا التاريخ، على الجميع مدّ يد العون ليس على الصعيد المادي فحسب، هم بأمس الحاجة إلى الرعاية النفسية والتربوية التي افتقدوا إليها.

إنه طالب اليوم لكنه بالأمس فقد أمه أو والده أو إخوة له، كانوا يجلسون بجواره يعلمونه الحروف، اليوم ربما وحيداً لا أحد ينتظره في البيت ليعلمه الحروف، هو فاقد لأسرته الآن.

حال المعلم ليس بالأفضل، لكنه مطالب بتقديم شيء للأطفال والأجيال، على المجتمع كذلك وجميع الجهات أن تقدم شيئاً وأن لا يقفوا متفرجين. عليهم أن يكونوا مرشدين أولاً قبل التعليم حتى يكسبوا الطلبة تعلماً نافعاً. يريد الطالب معرفة الكثير وحقيقة ما يدور حوله من تناقضات في الساحة، تلك التناقضات التي ربما تقوده نحو المجهول أو الصراع حتى مع ذاته.

الطالب في جناح الوطن الآخر كذلك يحتاج إلى تفسيرات مقبولة، وإبعاده بكل الإمكانات عن الحزبية الضيقة، التي تودي بكل ما يتعلمونه في الكتب. هؤلاء الصغار يحتاجون لتكاتف الجهود كي يتمكنوا من تقبل واقعهم الجديد، وليتمكنوا من العودة إلى كتبهم، وتتولد لديهم قناعات أخرى مختلفة عن صوت المدافع والقصف وما شابه من أدوات الحرب والدمار التي استخدمها الاحتلال الإسرائيلي.

عزيزي المعلم والتربوي والمسؤول، حالكم ليس بالأفضل، لكن الجميع مطالب بتقديم نزر يسير للأجيال، علي جميع الجهات أن تتحمل مسؤولياتها. الأطفال بحاجة لبثّ الثقة في نفوسهم فلنجعلهم يشعرون بالطمأنينة قبل كل شيء، لا ننسى أو نتناسى أنهم عماد الحياة والمستقبل القادم، على عاتقهم أعباء كثيرة ومسؤوليات، فهل من منقذ لهم!.

تحت شعار «التعليم طموح وتحد»

طاقم شؤون المرأة ينظم مؤتمره السنوي في جنين

بقلم : عبد الباسط خلف

نالت مجازر غزة قسطاً وافراً من نقاشات مؤتمر طاقم شؤون المرأة، الذي حمل العنوان: «التعليم طموح وتحد»، في جنين. وحملت الكلمات الافتتاحية ومقدمات عريفة الحفل والخلفية الموسيقية والأحاديث الجانبية للمشاركات والمشاركين، تلخيصاً لمشهد غزة الدموي، التي خسرت قائمة طويلة من الشهداء، ونال منها الدمار الهائل، مثلما فقدت حقها في التعليم، وخسرت مئات من طلبتها.

شرعت المحامية غادة شديد، عريفة الحفل، في تقديم حصيلة لما خسرته غزة وما زالت، في اليوم التالي لقصف ثالث مدرسة في القطاع. وأشارت لجريمة قصف مدرسة الفاخورة، التي احتمت بها مئات العائلات. وبرّرت منسقة مشروع سنابل، إيمان نزال سبب اختيار التعليم كعنوان لمؤتمر الطاقم، بنتائج الدراسة التي نفذتها مجموعتها، والتي أكدت متطوعاتها أن حرمان المرأة من التعليم، هو من الأسباب الكبيرة التي تقف حجر عثرة أمام وصول المرأة لمراكز صنع القرار.

إحدى عشرة سنبلة

واقتبست نزال في كلمتها مقتطفات مما قالته المتطوعات في مشروع سنابل، من أن التعليم لا ينحصر في المدارس، وإنما هو الحياة بذاتها. وعدّدت الفوائد التي حصدتها المشاركات في برنامج تمكين المرأة الريفية "سنابل"، اللواتي أصبحن قياديات في مجتمعاتهن المحلية ، وتلقين الكثير من التدريب. وخلُصت نزال إلى القول: «اليوم ننهي في سنابل إحدى عشرة سنة، بعد أن وصلنا إلى خمسة وثلاثين تجمعاً، ما عكس قدرة المتطوعات على الاستمرار في العطاء».

وقال محافظ: "جنين إن أبناء الشعب الفلسطيني حرصوا على مواصلة التعليم في خيامهم، وتحت أعمدة الكهرباء ليثبتوا ذاتهم، وتحدوا سياسة الاحتلال في إغلاق المؤسسات التعليمية إبان الانتفاضة الأولى".

التعليم مقاومة

وأشارت مدير عام طاقم شؤون المرأة روز شوملي مصلح، إلى أن التعليم هو لون من ألوان المقاومة، في الوقت الذي يستهدف التدمير الإسرائيلي القضاء على أي وجود لحياة عادية لشعبنا، والقضاء على جيل المستقبل.

وعدّدت أشكال العنف التي ستظهر على أطفال غزة بعد المجازر الإسرائيلية، مشيرة إلى الانطواء وعدم الاهتمام بالمدرسة والتبول اللاإرادي. في وقت ستكون المدارس غير جاهزة لاستقبال الأطفال؛ لأنها تحولت إلى مراكز إيواء.

وقالت شوملي: إننا بحاجة إلى التعليم في المدارس لتعود الحياة الطبيعية لأطفالنا. وأعادت عجلة التاريخ إلى الوراء، وهي تشير إلى التعليم الشعبي الذي راج خلال الانتفاضة الأولى، وعزز قيم التطوع. وأنهت: «هناك أشكال كثيرة للمقاومة، كالتمسك بالأرض والتكافل الاجتماعي والعمل التطوعي والأدب الجيد والفن الرفيع والتعليم، إضافة إلى المقاومة المسلحة".

ثلاث تجارب

سهير جميل عيسى، استعرضت تجربتها، إذ انقطعت عن الدراسة من الصف التاسع الأساسي، والتحقت بالعمل التطوعي، بعدها أسست صفًا لتعليم الفتيات اللواتي فاتهن قطار التعليم، في قريتها عانين بعشر طالبات، وقالت: «انسحبت ست طالبات من الصف، غير أننا صمدنا حتى اجتزنا الثانوية العامة، وكنا ندرس في ساعات المساء المتأخرة، وكان أبي يرافقني في العودة إلى البيت، واليوم أدرس اللغة العربية في الجامعة».

ونقلت فداء بزور من مدرسة المطلة معاناتها وتحديها، إذ تسير ورفيقاتها سبع كيلومترات مشياً على الأقدام، في رحلة الوصول إلى المدرسة في قرية جلقموس المجاورة، وتتحدى الطقس الحار والماطر، وإذا ما وجدت سيارات فتكاليف المواصلات مرتفعة، إذ تحتاج في كل يوم لأكثر من عشرة شواكل.

وتطرقت سهام أبو غرّان إلى تجربتها، إذ فصلت واثنتين من رفيقاتها من المدرسة في الصف التاسع، بقرار من سلطات الاحتلال بذريعة أمنية، قبل نحو عشرين سنة، ولم يمنعها ذلك من الانخراط في العمل التطوعي، فأسست روضة أطفال ومركزاً نسوياً، ولم تنته رحلتها بعد كما تقول.

عنف

وقدم رئيس قسم الإرشاد والتربية الخاصة، في مديرية تربية قباطية عبد المنعم لحلوح، ورقة عمل حول العنف والتعامل مع أولياء الأمور. وذكر لحلوح أن وزارة التربية شرعت في تعيين مرشدين تربويين منذ تأسيس السلطة الفلسطينية، بغية الحد من استخدام أساليب تقليدية تقوم على أساس العقاب. وعدد الآثار السلبية التي يحدثها العنف على الأطفال، بدءاً من الأضرار الجسدية والنفسية، مروراً بحرمانه من التمتع بحقوقه الأساسية باعتباره إنساناً، وصولاً إلى عرقلة مساهمته المستقبلية في عملية التنمية.

وذكّر لحلوح بطرق التواصل مع المدرسة من قبل الأهالي، مشيراً إلى عزوف مشاركة أولياء الأمور في الفعاليات المدرسية، وقلة تواصلهم مع المعلمين. وأنهى: «لعل قلة وعي أولياء الأمور بأهمية الاتصال والتواصل مع المدرسة، تعد سبباً لامتناع الأهالي من التفاعل مع المدرسة، التي لا تعد زيارات شكلية وإنما قضايا مهمة».

واستعرض صالح نعامنة من قسم الإرشاد والتربية الخاصة في تربية جنين، دراسات قالت إن العقاب البدني يؤدي إلى تسرب الطلاب من المدارس بشكل جزئي، ويمكن أن يؤدي إلى تسرب نهائي. وحدّد نعامنة الحلول التي يمكنها أن توقف من دائرة العنف، كفتح قنوات تفاهم إيجابية بين المعلم والطالب، وإكساب المعلمين مهارات التعامل وقت الأزمات، وأخذ أوضاع المعلمين المادية والاجتماعية بالاعتبار، عدا النظر إلى جوانب القوة عند الطلبة وعدم التركيز على جوانب الضعف. وأنهى نعامنة بالإشارة إلى مظاهر العنف في المدارس، والتي تتمثل في السلوك العدواني والكبت النفسي، والاستهزاء بالتلاميذ وإسماعهم الكلام البذيء.

تحصيل

وقدم بشير خنفر من قسم الإرشاد التربوي في تربية جنين، ورقة حول التحصيل التعليمي في مدارس المديرية، قائلاً إن التحصيل لا يقتصر على ما يكتسبه الطالب من معلومات ومعارف على أهميتها، وإنما يشتمل بالإضافة إلى ذلك ما ينغرس في وجدان الطالب من قيم وميول واتجاهات إيجابية، وما يتدرب عليه من مهارات عقلية وعملية واجتماعية، وما ينمو عنده من أنماط تفكير استقرائي واستنتاجي وتحليلي وإبداعي ناقد، تشبع في مجموعها حاجاته وتحقق أهدافه العقلية والوجدانية والنفسحركية.

وأضاف: يعد التحصيل المقوم الرئيس من مقومات التربية كعملية مقصودة، تهتم بشخصية الطالب من جوانبها العقلية والوجدانية والاجتماعية والنفسية، لتجعل منه إنساناً سوياً قادراً على حل مشكلاته الحياتية المستقبلية. وأنهى خنفر: «ينبغي أخذ مسألة التعبير وإبداء الرأي بالإعتبار، كونها تجعل الأطفال يبدون رأيهم بجرأة، ويتعلمون أنهم جزء من متخذي القرار، وأن لهم أهمية في الحياة».

وناقش الحضور الذي غلب عليه الطابع النسوي، بشفافية وجرأة العديد من القضايا التي تتصل بالعملية التربوية وبالمناهج وطرق التدريس، وأهمية القراءة والمنهاج الخفي وواقع العنف في المدارس، والدور الذي تقوم به الأمهات في تدريس أبنائهن.

وما أن وصل المؤتمر خط النهاية، إلا وقدمت العديد من التوصيات، كالاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة في المدارس، والمطالبة بضرورة تطبيق التعليم المساند في المدارس، وتدريب وتأهيل الهيئات التدريسية لصعوبة المناهج، عدا محاسبة كل من يمارس العنف في المدارس، بالإضافة إلى الدعوة إلى محاكمة الإحتلال الإسرائيلي الذي ارتكب جرائم حرب بقصف مدارس في قطاع غزة، إلى جانب تفعيل دور مجالس أولياء الأمور، وتوظيف الكفاءات، ومراعاة الطلبة ذوي التحصيل المتدني، ناهيك عن إعادة النظر في المناهج التربوية لتتناسب ومقدرة التلاميذ، وحث الجهات المعنية على القيام بدراسات تشير لتأثيرات العنف المختلفة.

المرأة في الرواية العربية

بقلم: زياد جيوسي

في الرواية العربية عادة كنا نجد صورة نمطية للمرأة: فهي المرأة المقهورة، السلبية، المتلقية، الخاضعة للهيمنة الذكورية، فهي بالمعتاد تابعة ومتلقية ومقموعة، قمع يتراوح بين العادات والتقاليد، ظروف المجتمع وأنماطه في التعامل، ولم تخرج المرأة عن هذه الصورة إلا في حالات محددة، ولعل الرواية العربية الحديثة لعبت دورا في إظهار المرأة العربية في صورة مغايرة، فقد أصبحت المرأة في الرواية العربية شريكاً للرجل في تحمل المسؤولية، امرأة إنسان وليس سقط متاع، لم تعد المرأة مجرد جسد ينظر إليه بشهوة ورغبة السرير، بل أصبحت المناضلة والأم والشريك، وبشكل عام كانت صورة المرأة في الرواية العربية تعتمد دوما على خلفية الكاتب ووعيه وثقافته، البيئة التي خرج منها وتأثر بها، ولعل تغير الثقافات وتأثير العمل السياسي وانتشار الوعي والثقافة لعب دوره بهذا التغيير.

الكثير من كتّاب الرواية المعاصرين، وخاصة الذين ارتبطوا بالعمل السياسي والنضالي، يقدمون صورة ايجابية للمرأة، تظهرها بدورها الحقيقي، مشاركة للرجل في تحمل المسؤولية، أم ومناضلة وواعية ولها دورها في مناحي الحياة المختلفة، ويحضرني هنا دور المرأة الفلسطينية في رواية «ماء السماء» للكاتب الفلسطيني يحيى يخلف، فهو أورد في هذه الرواية التي تصور النضال الفلسطيني قبل سقوط فلسطين في عام النكبة ١٩٤٨ وانتقال الشعب مهجراً ومشتتاً إلى أنحاء الدنيا، أورد صوراً من دور المرأة في مرحلة نهاية الأربعينيات، ففيها أبرز دور المرأة الأم «العمة حفيظة» التي ترعى المجاهدين، تتزنر بالرصاص وتقاتل معهم، تؤمن لهم الذخيرة والطعام، تخرج بالأطفال لحمايتهم وتقوم بدور الرجال وهم في خنادقهم وتنتظر قدومهم، أبرز دور الشابة «بدرية» في مخيمات اللجوء، كيف تنتمي للعمل السياسي وتشارك في المظاهرات، تتسلل عبر الأزقة لتلتقي المناضلين الذين يختبئون من رجال الأمن، توجه الرجل المناضل حين تشعر بانحرافه عن هدفه قائلة: يحتاجك البسطاء والفقراء وأبناء المخيمات فلا تبتعد عنهم.

وهذا النموذج الايجابي من المرأة برز أيضا في روايات الروائي الكبير حنا مينا، فنجد نموذج «رئيفة» في روايته الذئب الأسود، ونموذج «بيرانيك» في روايته الفم الكرزي، وبالكاد تخلو رواية له من أنموذج ايجابي يمثل المرأة، وهذه الصورة الايجابية تكررت في العديد من الأعمال الروائية العربية المعاصرة، كما يمكننا أن نرى هذا النموذج في شخصية «آسيا» في رواية وليمة لأعشاب البحر لحيدر حيدر، وما أوردته ليس إلا نماذج وليس على سبيل الحصر.

لذا يمكننا أن نقول إن الرواية العربية الحديثة المكتوبة بأقلام ذكورية، تطورت وتغيرت المفاهيم السلبية فيها تجاه المرأة، حتى أن الرواية العربية تمكنت أن تتجاوز الكثير مما كتب في المراحل السابقة التي صورت المرأة: «صورة نمطية مستهلكة، مستهجنة، مقهورة، منكسرة، سلبية».

ويبقى السؤال هو: هل هذا التغيير بالنظرة للمرأة في روايات الكتاب العرب المعاصرة، انعكس فعليا على السلوك الشخصي للكاتب، وهل ترك تأثيره على المجتمع وبدأ يلعب دورا في التغيير، أم بقي مجرد حروف مرسومة بالحبر؟.

اليقظة لكاتي تشوبين

عرض: أحمد عرار

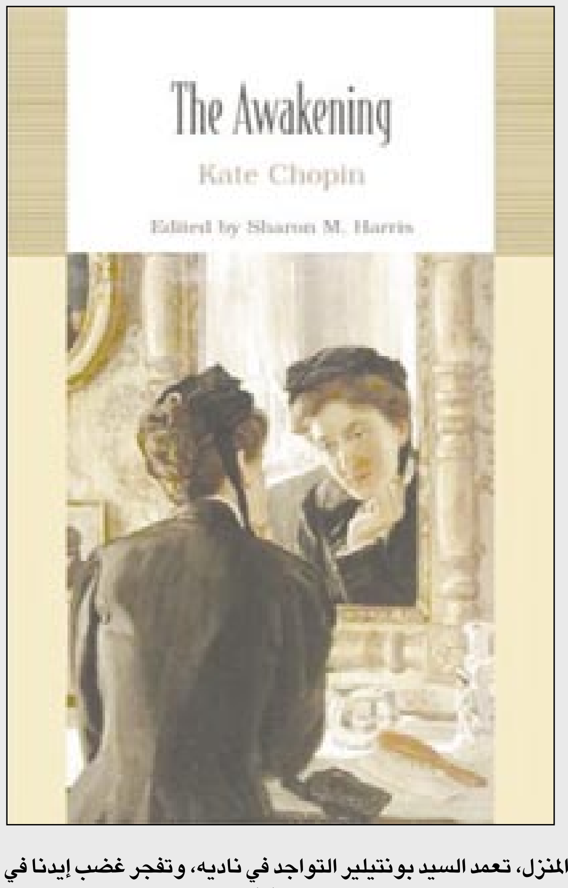

إن العنوان المجازي «اليقظة» لرواية كاتي تشوبين، هو مصطلح ملائم لوصف التغيير في وعي النساء، فاليقظة هو التعبير المجازي الذي يستخدمه الباحثون، لوصف خبرة التنوير، وهي الانتقال من الأفكار التقليدية لمعنى الحياة، إلى خبرة مباشرة أكثر عن الواقع الحقيقي، أو أرضية الوجود، أو الكينونة، والانتقال من الوعي العادي إلى الوعي غير العادي، من القيود إلى الحرية.

تؤكد شوبين في هذه الرواية، بأن اليقظة تنطوي على المخاطرة، فهي تشير مواربة إلى البحر في إغوائه للنفس، «تفقد نفسها في متاهات التأمل الداخلي»، و حينما تسبح «إيدنا» بطلة الرواية بعيداً جداً، فإنها تلقي «بنظرة خاطفة على الموت». هذه اليقظة التي اكتسبتها إيدنا من تعلمها السباحة في المحيط، تبدأ في وضعها على طريق السعي الاجتماعي للنساء، وهو بحث عن طرق جديدة للعيش في مجتمع إنساني. وعلى الرغم من أن إيدنا لم تكن مدركة للعواقب المترتبة على أفعالها، إلا إنها تتخذ سلسلة من الخطوات، وهي خطوات بسيطة في البداية، تحركها بعيداً إلى ما وراء الحياة التقليدية للمرأة التي عرفتها، ومجددا تكون واعية بقيمة ذاتيتها الخاصة، وتبدأ إيدنا في تحدي زوجها علناً، «ليونز بونتيلير»، وهو رجل انتظمت حياته وفقاً للافتراضات غير المعلنة للامتياز البطريركي. وعلى الرغم من أنه مشغول في العادة بأعماله أو ناديه، إلا أنه يعتبر زوجته «الشيء الوحيد في حياته»، ويعتقد «أنه أحب أطفاله كثيراً جداً»، بينما هو بالفعل لا يهتم بهم إلا قليلاً جداً، وهو يعتقد أنه يعرف دائماً ما هو في صالح زوجته، وينظر إليها دائماً على أنها «تحفة ثمينة وملكية شخصية»، وفي عالمه الذي لم تتحداه إيدنا ابداً مباشرة، لا يوجد مكان لوعي إيدنا الجديد بقيمة أفكارها ومشاعرها. وتحدث المواجهة الأولى الحقيقة بينهما في «آيل جراند»، في الليلة التي تسبح فيها إيدنا بعيداً بمفردها، وتشعر بعواطفها المشبوبة تتفجر مع عزف «مزموزيل ريزش» على البيانو، ومع وجود «روبرت» وشعورها بقوتها، وحينما عاد زوجها من المدينة في وقت متأخر، كما اعتاد أن يفعل، وجدها غافية في رواق الشرفة، وكالمعتاد يطلب منها أن تأتي إلى الداخل معه، وكالعادة يتوقع طاعتها، وحينما تقرر أن تبقى في الخارج قليلاً، يأمرها أن تدخل، فتشعر بأن إرادتها قد توهجت بالعناد والمقاومة، فتأخذ هذه الحادثة التي تبدو عادية، حجماً ضخماً، لأنها تمثل أول تحد مباشر من إيدنا للفرضية الضمنية لزواجهما، ألا وهي سلطته.

وتستمر إيدنا بعد عودتهما إلى «نيو أورليانز»، مع نهاية الصيف في عصيانها، وتصبح مهملة في إدارتها للخدم، وبدلاً من أن تمكث في المنزل لاستقبال الزائرين، كانت تخرج طوال اليوم، وتعبيراً منه عن السخط الذي ألم به جراء رفض زوجته الوفاء بواجباتها كمضيفة في المنزل، تعمد السيد بونتيلير التواجد في ناديه، وتفجر غضب إيدنا في محاولتها اليائسة لتحطيم «خاتم زفافها».

جمعت شوبين بين التغيير الذي حدث لإيدنا في تصريح لها: «بدأت تفعل ما كانت تحب أن تفعله، وتشعر كما يحلو لها»، وبين التغيير الذي حدث لزوجها السيد بونتيلير، وبالأحرى الزوج الدمث اللطيف، «طالما هو يلقى من زوجته نوعاً من الخضوع الصامت والإذعان الضمني»، فقد أصابه التغيير الذي حدث لزوجته بالارتباك والغضب، وحينما ترفض إيدنا أن تصاحبه في رحلة عمل، يقرر بونتيلير متردداً أن يتركها لحال سبيلها، ويرسل أمه لرعاية الأطفال، تاركاً أيدنا بمفردها. وهنا تصور شوبين ببلاغة بارعة ماذا يمكن أن تكون عليه الخبرة الأولى لامرأة راشدة مع الوحدة، «لقد تملكها شعور غريب، لكنه ممتع، تجولت في كل أرجاء المنزل من حجرة إلى أخرى، كما لو كانت تتفحصها لأول مرة، جربت المقاعد المختلفة، استلقت على كل أريكة كما لو أنها لم تجلس أو تستلقي عليها من قبل، كانت الأزهار مثل معارف جديدة، فهي ترى كل شيء ناضراً، فمع وجود بونتيلير خارج المنزل مع آرائه، تشعر بالحرية في أن ترى بعينيها وأن تمارس خبراتها الخاصة، فالفعل البسيط الذي تقرر فيه إيدنا أي مقعد من المقاعد تجده مريحاً، أو جميلاً كان له تأثير رائع، لأنها تسمي لأول مرة عالمها من منظورها الخاص بها.

اسرائيل شاحاك... يطلُّ من نافذة غيابه على محرقة غزة

" إنَّ أي انسان شهد تلك الطقوس الشنيعة-كما فعلت- سيعترف أن بعض أنواع الإرهاب تستعصي على التفسير من الوضع الحالي للمعرفة الانسانية "

غزة - عبد الفتاح شحادة

ما يحدث في غزة اليوم يثير استياء العالم والانسانية، فهذا العدد المهول من المدنيين الذيَن سقطوا ضحايا للمجازر الاسرائيلية فاق الحد الممكن، والمعقول في وحشيته بغض النظر عن أي مبررات واهية يسوقها جيش الاحتلال.

لقد عدت هذا الصباح إلى مكتبتي تحت قصف سماء غزة، في محاولة لاختطاف كتاب المفكر اليهودي اسرائيل شاحاك " اليهود واليهودية ثلاثة آلاف عام من الخطايا " وذلك كي أوفر على العالم، والقراء عناء التفكير بوحشية يد جيش الاحتلال الاسرائيلي في قطاع غزة، فأساس أي عمل يمكن القيام به هي قناعة الفاعل بما يؤديه، والغطاء الذي يمتلكه من قبل الآخرين لجرائمه، فعندما يدعم النص الديني فعلاً ما، فهذا الفعل يخرج عن نطاق العقل ويتحول إلى الميتافيزيقا، لذلك عندما كنت أسير تحت سماء غزة في نهارات الحرب من أجل شراء الخبز أو الطعام أو فعل أي شيء كنت أدرك تماماً أن اليد التي تتحكم في الطائرات فوقي هي يد تحكمها الميتافيزيقا وليس العقل والانسانية، لذلك كان الرعب يملأ قلبي الانساني في كل لحظة. وهذا ما سوف نجده في مقتطفات من كتاب اسرائيل شاحاك الذي يتناول دولة الاحتلال بشكلها المتستر ألا وهو الشكل الديني الذي يستمد قيم حربه من النص الديني اليهودي القابل للتطبيق بمختلف مستوياته.

إن متابعة ما يحدث في حرب غزة عن كثب، يؤكد بما لا يدع مجال للشك أن أفعال الجيش الاسرائيلي هي أقرب إلى أفعال مجموعة من المرضى كما أجاب أحد المفكرين الاسرائيلين الكاتب الفلسطيني حسن خضر قائلاً: نحن شعب مريض وعلى الفلسطينيين أن يعالجونا، ولكن كيف للضحية أن تعالج الجلاد؟! كيف لنا أن نغير قناعات جنودكم الذين تربوا في المدارس الدينية المتطرفة؟!

يقدم لنا كتاب اسرائيل شاحاك في فصله الخامس الذي جاء بعنوان " الشرائع ضد الأغيار " وفي عنوان فرعي يليه " القتل والابادة الجماعية " نصوص وأمثلة واضحة عن معاملة اليهود للأغيار في السلم والحرب، وعلى افتراض أن ما يحدث في غزة هو حرب فيها قليل من التكافؤ في القوة العسكرية، سوف نجد النصوص التي تحكم سلوك الجندي الاسرائيلي اتجاه المدنيين الفلسطينيين مثبتة في النص الديني قبل كل شيء.

يقول شاحاك : " حسب الدين اليهودي فإن اليهودي الذي يقتل غير اليهودي مذنب فقط بخطيئة ضد شرائع السماء التي لا تعاقب عليها المحكمة أما التسبب في موت غير اليهودي بشكل غير مباشر فهذا لا يعد ذنباً على الاطلاق "

إن ما ورد أعلاه يوضح مدى قلة اعتبار الانسان من غير اليهود في النص الديني اليهودي، وهذا المبدأ فقط مع الأغيار الذين لا يكون بينهم وبين اليهود حرب، أما في حالة الحرب فيورد الكاتب نصاً رسمياً موجهاً لجنود المنطقة الوسطى من الجيش الاسرائيلي في الضفة الغربية حيث يقول فيه الحاخام لجنود الجيش: " في حال مرور قواتنا بالمصادفة أو خلال مطاردة حامية، بمدنيين خلال الحرب، إذا لم يتوفر دليل كافٍ على أن المدنيين غير مؤهلين بالحاق الضرر بقواتنا، فإن طبقاً للهاكالاه(٢) يجب قتلهم، تحت أي ظرف لا يجب الثقة في أي عربي، حتى لو أظهر انطباعات أنه متحضر، في الحرب، عندما تنقض قواتنا على العدو، فمسموح لها بل هي مأمورة طبقاً للهاكالاه، بأن تقتل حتى المدنيين الأبرياء... " وفق هذا النص يتعامل الجندي الاسرائيلي مع الفلسطينيين في غزة، فهم غير ملزمين بقتل المقاومين فقط حسب هذا النص المائع، والنص الذي سبقه، وفي قراءة بسيطة للنصين ندرك أنه لا يمكن محاكمة أي جندي قتل مدني فلسطيني حتى لو عن قصد، فالقانون الرسمي والنص الديني وتطرف المجتمع الاسرائيلي اليوم يتيح له الفرصة ويوفر له الغطاء الكامل.

وفي رسائل متبادلة من الجندي موشي إلى الحاخام شمعون وايرز، والتي نشرت باللغة العبرية في الكتاب السنوي لكلية Midrashiyyat Noam وهي واحدة من اكثر المعاهد الدينية احتراماً في اسرائيل والذي درس فيها العديد من قيادات ونشطاء الحزب القومي الديني.

يسأل الجندي حاخامه عن أمور غريبة للغاية، يمكن لأي انسان أن يجيب عليها من منطلق انسانيته، كأن تسأل مثلاً، هل يمكنني أن أسرق؟! أو أن أكون ظالماً؟! إن أسئلة كهذاه يجيب عليها البشر في كل أنحاء البسيطة، ب لا بغض النظر عن أي تأويل فلسفي، فيسأل الجندي عن مفهوم طهارة السلاح عدة أسئلة منها: هل من الجائز قتل العربي الأعزل، أو النساء أو الأطفال أو حتى ما إذا كان علينا الانتقام من العرب؟ هل مسموح لي أن أعرض نفسي للخطر من أجل انقاذ امرأة من الموت؟ أو هل مسموح لي أن أعطي عربياً ماء إذا رفع يديه مستسلماً؟ يرد الحاخام برسالة يشرح فيها الأمر، فيستنتج الجندي التالي من رسالة حاخامه: " بالنسبة للخطاب نفسه، فقد فهمته كالتالي، لا يسمح لي فقط في زمن الحرب بقتل كل عربي رجل أو امرأة كلما سنحت الفرصة، بل من واجبي أيضاً القيام بذلك " وهكذا نرى أن الفلسطينيين مدنيين أو غير ذلك فهم تحت طائلة الضمير الديني لجنود جيش الاحتلال الذي يتعامل مع الأغيار في حالة الحرب والسلم بطريقة لا انسانية، وتدعو إلى الاستغراب الشديد، وتقف امامها المعرفة حائرة في تفسير هذا الدرب من الماشوسية!

ثقافة وأدب

اللاوعي ومشكلة المرأة

بقلم : أحمد عرار

إن فهم الآخر ما لم يكن مصاحباً باعتراف كامل به بوصفه ذات، مهدد بأن يُستَخْدَم في تحقيق غايات استعلائية، بحيث تصبح المعرفة سبيلاً للتسلط». من رسالة بحث في منشأ وأسس عدم المساواة لجان جاك روسو. إن اللاوعي هو ما يؤسس الذهنية العقلية التي ينبني عليها سلوك الفرد وفكره، ومن ثم يضع الأيديولوجية التي تحكم علاقته بالآخرين، هذا اللاوعي هو ما يبرر سلوكنا الخاطئ تجاه المرأة، أو لنقل هو ما يشرعن العنف تجاهها من خلال اللاشعور الجمعي المتجذر، والذي لا سبيل لتغييره إلا بإعادة انقلاب معرفي يعيد صياغة العقل ويعيد برمجة لاوعينا الجمعي.

ومن خلال هذه الرؤية التي تفتش وتفكك الأنماط الثقافية للعنف، يمكن فهم وحل مشكلة المرأة، والتي عملت التربية الذكورية على احتقار كينونتها، وجعلها مسكوناً جسدياً هامشياً.

إن مشكلة المرأة تبدأ منذ الميلاد كما تقول «كارول بي كريست»، في كتابها «الصوفية النسوية»، ففي سن مبكرة جداً تتأكد البنت بأن ما تعنيه أنها أنثى، أن أشقاءها الذكور لديهم الحق في أن يطلبوا المزيد من اهتمام أمهم، وأن أباها لن يلعب معها الكرة. ويعني كونها أنثى، إنها حتى لو حصلت على أعلى الدرجات، فإن مهنتها لن تحظى بالأهمية مثل مهنة الولد، الذي يحصل على درجات متوسطة. فكونها أنثى يعني إنها ليست مهمة، إلا في علاقاتها مع الأولاد و الرجال. ويعني ذلك أن لديها رسالتين متناقضتين. فالوالدان والمدرسون نادراً ما سيخبرون البنت إنها اقل أهمية من أشقائها الأولاد الآخرين، لأن ذلك يناقض المثالية «للمساواة والعدالة للجميع»، التي يدعو لها المجتمع. لكن الرسالة الخاصة بدونيتها، سوف تصل إليها بطرق خبيثة وملتوية عن طريق قلة الاهتمام والتقصير في تغذية إمكاناتها في النمو والتطور، وعن طريق توقع إخفاقها في المهام الصعبة. ونظراً إلى أن الرسائل مختلطة، فقد تشعر المرأة أن عدم اهتمام أمها أو أبيها أو مدرسيها بها، إنما ينبع من وجود خطأ معين من جانبها. هذه الأصوات وغيرها للقامعين لها، والتي تبدو كأنها تنبع من داخلها مع هذه التيارات من مشاعرها بالدونية وكره الذات، تنفذ وتتغلغل إليها بقوة وعمق.

وهكذا تتعلم النساء الشك في قيمة أفكارهن ومشاعرهن وإبداعهن، ويسلمن بأن الأشياء التي يفعلنها ليست لها قيمة. ويوافقن على أن أعمال المنزل ورعاية الصغار، أو العمل كممرضة أو سكرتيرة أو حتى مدرسة، هي أعمال لا تتطلب أي قدر من الإبداع أو المهارة، وأن أي شخص يمكنه القيام بها. فهن يعتقدن أن عمل الرجال سواء أكان في تصليح السيارات أم العمل على خط إنتاج في مصنع، أم بناء منزل هو عمل بالغ الأهمية، أكثر مما تفعله النساء بكثير، وإذا تجرأن على تحدي الأنماط التقليدية، فسوف يعلمن إن أجلاً أو عاجلاً، أن ذكاء المرأة وإبداعها وقوتها غير مقبولين.

اللاوعي وإغواء الرجل

إن الخصائص والسجايا التي تثمن عالياً في الرجال، تبدو «مهددة» في النساء اللواتي تقوم جاذبيتهن للرجال، على أنهن يغذين إبداع الرجال وليس في التعبير عن أنفسهن. تغذي الثقافة الذكورية المرأة بحالة عدم الملاءمة، والتي تتلخص في مشاعرها تجاه جسدها. فالمرأة يمكنها أن تحصل على موافقة الرجال وحبهم بأن تبدو جميلة المظهر. إلا أن «أمها التي تنقل إليها التذبذب وعدم التأكد، وكذلك وسائل الإعلام تخبرها بأنها ليست جميلة بطبيعتها، إذ إنه ينبغي عليها أن تلتزم نظاماً غذائياً لتخلص نفسها من السمنة المقيتة، أن تضفر شعرها وتفرده أو تصبغه، أن تتعلم وضع الماكياج، تتعلم كيف تلبس كيف تجلس، تقف، تمشي، من أجل أن تصبح مقبولة. يجب أن تزيل الشعر من ساقيها ومن تحت أبطيها، أن تنتف حواجبها، أن تزيل الشعر من ذراعيها ومن وجهها، لكي تغدو مقبولة، يجب ألا تنسى أبدا العطور ومزيلات الروائح، ثم هناك بين ساقيها تلك البقعة السوداء التي تنزف منها كل شهر، ينبغي عليها أن تفعل كل ما بوسعها لإنكار وجود تلك البقعة، ينبغي عليها أن تخفي كل شهر ما يدل على سرها الدامي، مطلوب منها أن تستخدم الحفاضات والرشاشات المهبلية لإخفاء الروائح الأنثوية». (الغوص عميقاً والصعود إلى السطح- كارول كريست).

هذه الرسالة الواضحة التي تشحنها الأم في عقل ابنتها، والتي تجعلها تشعر بأن هناك خطأ ما، في كونها امرأة هي نتاج أو لنقل هي إعادة إنتاج للرأس مال الرمزي، حسب بورديو للاوعي البطريركي.

إطار للحل

في إطار الحل يجب فهم المفردات المعرفية التي تتحكم في لاوعي الرجل والمرأة على حد سواء في المجتمع، من أجل فهم الدوافع التي تكمن وراء هذا التمييز تجاه المرأة. إن المجتمع يتركب ثقافياً من القيم والتقاليد والمعايير والأعراف، وغيرها من محددات الإدراك والسلوك الإنساني، وهو يعمل دائماً وبصورة آلية، على نقل هذه المفردات إلى مجموع أفراده، ليحافظ على بنيته الجماعية، وبهذا الشكل يأخذ الطفل اللبنات المستخدمة في بناء المنظومة الإدراكية من المجتمع، الذي يعيش فيه ممثلاً بمؤسساته، العائلة والمدرسة والجامعة، ومن ثم تصبح آلة الفرد الإدراكية مطبوعة بطابع المجتمع، ويحتفظ المجتمع بالأثر الأكبر في التأثير على بنية الفرد المعرفية، من خلال نقله لجملة عقائده وأعرافه ومعارفه، لأفراده، وخاصة الأطفال منهم، ولذلك نجد دائماً أن أفراد المجتمع الواحد، يشتركون غالباً بمساحة واسعة من المعارف والعقائد وغيرها، وهي ما يسمى بـ (اللاشعور الجمعي) الذي هو: «رواسب دفينة في النفس، ترجع إلى تجارب وخبرات النوع الإنساني، يمتد بعضها إلى الماضي السحيق، وما ورثه الناس من أصلهم الحيواني ومن الإنسان البدائي الأول، وما تركته فيهم تجاربهم الاجتماعية في العشيرة والقبيلة والأمة، وما ترسب في نفوسهم من خلال تجاربهم الخاصة، إضافة إلى مخايلهم المتعلقة بالمستقبل». (عبد الهادي عباس - المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها).

إذاً نفهم ومن خلال كل ما سبق، في أن الحل يكمن في إعادة صياغة لبيدغوجيا التربية، داخل المدرسة والجامعة، وفي وسائل الإعلام، ليعاد صياغة اللاوعي الجمعي إيجابياً تجاه المرأة.

دروب المعرفة

مادة الكافيين

تتواجد مادة الكافيين في أكثر من ٦٠ نوعاً من أنواع النباتات، وتعتبر مادة منبهة، وتتواجد عادة في القهوة والشاي والمشروبات الغازية والشكولاته ومشروبات الطاقة، وتتواجد أيضاً في بعض الأدوية. وأكدت الدراسات على أن استهلاك كمية معتدلة من الكافيين، (ما يقارب ٣٠٠ ملغ من الكافيين)، أي ٣ أكواب من القهوة في اليوم لا يؤثر على الصحة. استهلاك أكثر من ٦٠٠ ملغ من الكافيين في اليوم وبصورة منتظمة، قد يؤدي إلى القلق وزيادة نبضات القلب والصداع، وزيادة حرارة الجسم وضعف التركيز والتعرق واضطراب المعدة والنرفزة. يتسبب الكافيين في التخلص من الكالسيوم، والكالسيوم معدن ضروري لصحة العظام، فقد وجد في دراسات حديثة أن نسبة كبيرة من المصابين بهشاشة العظام والتهابات المفاصل، يستهلكون كمية تفوق ٦٠٠ ملغ من الكافيين في اليوم.

يعتبر الكافيين من المواد الممنوعة في اللجنة الأولمبية الدولية منذ سنوات عديدة، فإذا وجد أن مستوى الكافيين في البول لدى الرياضي أكثر من ١٢ ميكروجرام لكل مليلتر، فإنه يستبعد من المنافسات، ويمكن الوصول لهذا المستوى بشرب ٥ أكواب من القهوة.

مرض كرون

"مرض كرون" عبارة عن التهاب مزمن يصيب جدار الأمعاء، حيث يمتد الالتهاب لكل طبقات الجدار، ويؤدي لتورمه وحدوث تقرحات وخراريج صغيرة فيه. وسمي بذلك نسبة للطبيب الأمريكي "بوريل كرون"، والذي وصف المرض لأول مرة عام ١٩٣٢م. "مرض كرون" يصيب الجنسين، ويظهر بكثرة فيمن تتراوح أعمارهم بين ١٥- ٣٥ سنة، وفي سكان المناطق الشمالية من العالم، ولكن يمكن حدوثه في أي عمر. "مرض كرون" ليس مرضاً مميتاً، ولا معدياً، وليس مرضاً سرطانياً بل هو نوع من الالتهابات المزمنة.

أسباب هذا المرض غير معروفة تحديداً، هناك نظريات متعلقة بدور لكل من الميكروبات والغذاء والتدخين والإضطرابات المناعية. ولا يوجد دليل قاطع على أن أي منها يتسبب بمفرده في حدوث المرض، وإن كان ولا شك لكل منها دور جزئي. ومن الأكيد ما أثبتته الدراسات من تأثير سلبي وضار للتدخين على المصابين بمرض كرون. ويصيب هذا المرض أي جزء من القناة الهضمية ولكن هناك مناطق تتأثر أكثر من غيرها كالمنطقة الواقعة آخر الأمعاء الدقيقة، وبداية الأمعاء الغليظة، ويصيب المرض الأمعاء الغليظة في ثلث المرضى تقريباً. ويمكن ل" مرض كرون" أن يسبب التهابات بالمفاصل أو الجلد أو العين أو الفم.

وتختلف أعراض مرض كرون وتتفاوت في شدتها من مريض لآخر، حسب درجة نشاط ومكان المرض. ومن هذه الأعراض الشعور بالتعب مع فقدان في الوزن والشهية، ومنها ارتفاع درجة الحرارة وإسهال مزمن، والذي قد يخالطه نزيف، وآلام في البطن. وفي بعض الحالات قد يشكو المريض من تقرحات سطحية، ولكنها مؤلمة ببطانة الفم، وآلام بالمفاصل وطفح جلدي وتأخر النمو عند صغار السن. وقد يتشابه "مرض كرون" في أعراضه مع التهاب القولون التقرحي، والتهابات الزائدة الدودية والقولون العصبي وتدرن القولون.

وتساعد الفحوص الطبية على التفريق بين هذه الأمراض ومرض كرون. ولتشخيص "مرض كرون"، يقوم الطبيب باجراء الفحص الإكلينيكي والتحاليل المعملية، والأشعات التشخيصية (أشعة بالباريوم أو المقطعية أو بالرنين المغناطيسي)، والمناظير. وفي غياب العلاج المناسب، قد تؤدي الإصابة المزمنة بمرض كرون إلى بعض المضاعفات، مثل انسداد أو تضيق الأمعاء. وقد تمتد التقرحات المعوية إلى الأعضاء المجاورة للإصابة مثل المثانة أو المهبل أو الجلد، مما يؤدي إلى تكون الناصور وخراريج، وربما يصاب المريض بالحصى الكلوية أو المرارية. ورغم أنه لا يوجد حالياً علاج يؤدي إلى الشفاء التام من مرض كرون، إلا أنه قد يختفي مدداً متفاوتة مع الإلتزام بالعلاج، الذى يساعد علي تخفيف الالتهاب، وتعويض نقص التغذية، وخفض نسبة حدوث المضاعفات. فهناك العلاج الطبي، والنظام الغذائي، والعلاج الجراحي. ولا توجد مدة محددة للعلاج ويجب المتابعة المستمرة، وقد تزيد فترة العلاج أو تقل حسب نشاط المرض، ولكنه لا يتوقف.

اللغة العربية تحتل المرتبة الثامنة ضمن أكثر لغات العالم استخداماً للإنترنت

تقدم مستخدمو الانترنت الذين يجيدون اللغة العربية للمرتبة الثامنة عالمياً، ضمن العشر لغات الأكثر استخداماً للإنترنت، حيث كانت اللغة العربية حتى الشهر الماضي تقبع في المركز الأخير، جاء ذلك ضمن موقع إحصائية شبكة الإنترنت العالمية، حيث بلغ إجمالي المتحدثين باللغة العربية حسب إحصائية الموقع ٣٥٠,٩٦٥,١١٩مليون شخص بينما بلغ مستخدمو الإنترنت منهم ٤٦,٣٥٩,١٤٠ مليون مستخدم.

ومن الملاحظ من الجدول أن المتحدثين باللغة العربية، يتفوق عددهم على العديد من اللغات وبنسبة كبيرة، مثل اللغة البرتغالية، التي تحتل المرتبة السابعة وكذلك الألمانية واليابانية، وهذا يدل على أن مستخدمي الإنترنت ممن يتحدثون اللغة العربية، بإمكانهم أن يتقدموا مراكز أفضل في الأشهر القادمة. حيث كانت اللغة العربية تحتل المرتبة العاشرة والأخيرة مع بداية ٢٠٠٧، وذلك في قائمة أكثر عشر لغات استخداماً للإنترنت، بينما إحتفظت المراتب السبع الأولى بنفس الترتيب السابق، حيث لم يشمل التغيير سوى المراتب الثلاث الأخيرة.

إتفاقية جنيف الرابعة

القسم الرابع :قواعد معاملة المعتقلين

الفصل الأول: أحــكام عامة

المادة (٧٩): لا تعتقل أطراف النزاع أشخاصاً محميين، إلا طبقاً للمواد ٤١ و٤٢ و٤٣ و٦٨ و٧٨.

المادة (٨٠): يحتفظ المدنيون بكامل أهليتهم المدنية، ويمارسون الحقوق المترتبة على ذلك بقدر ما تسمح به حالة الاعتقال.

المادة (٨١): تلتزم أطراف النزاع التي تعتقل أشخاصاً محميين بإعالتهم مجاناً، وكذلك بتوفير الرعاية الطبية التي تتطلبها حالتهم الصحية. ولا يخصم أي شئ لسداد هذه المصاريف من مخصصات المعتقلين أو رواتبهم أو مستحقاتهم. وعلى الدولة الحاجزة أن تعول الأشخاص الذين يعولهم المعتقلون إذا لم تكن لديهم وسائل معيشة كافية، أو كانوا غير قادرين على التكسب.

المادة (٨٢): تجمع الدولة الحاجزة بقدر الإمكان المعتقلين معاً تبعاً لجنسيتهم ولغتهم وعاداتهم، ولا يفصل المعتقلون من رعايا البلد الواحد لمجرد اختلاف لغاتهم.

يجمع أفراد العائلة الواحدة، وبخاصة الوالدان والأطفال، معاً في معتقل واحد طوال مدة الاعتقال، إلا في الحالات التي تقتضي فيها احتياجات العمل، أو أسباب صحية أو تطبيق الأحكام الواردة في الفصل التاسع من هذا القسم فصلهم بصفة مؤقتة، وللمعتقلين أن يطلبوا أن يعتقل معهم أطفالهم المتروكون دون رعاية عائلية.ويجمع أفراد العائلة الواحدة المعتقلون كلما أمكن في المبنى نفسه، ويخصص لهم مكان إقامة منفصل عن بقية المعتقلين، ويجب توفير التسهيلات اللازمة لهم للمعيشة في حياة عائلية.

الفصل الثاني: المعتقــــلات

المادة (٨٣): لا يجوز للدولة الحاجزة أن تقيم المعتقلات في مناطق معرضة بشكل خاص لأخطار الحرب.

تقدم الدولة الحاجزة جميع المعلومات المفيدة عن الموقع الجغرافي للمعتقلات إلى الدول المعادية عن طريق الدول الحامية.

تميز معسكرات الاعتقال كلما سمحت الاعتبارات الحربية بذلك، بالحرفين IC، الحرفان الأولان من عبارة Internment CampIC، اللذين يوضعان بكيفية تجعلهما واضحين بجلاء في النهار من الجو، على أنه يجوز للدولة المعنية أن تتفق على أي وسيلة أخرى للتمييز. ولا يميز أي مكان آخر خلاف معسكر الاعتقال بهذه الكيفية.

المادة (٨٤): يجب فصل المعتقلين من جهة الإقامة والإدارة عن أسرى الحرب، وعن الأشخاص المسلوبة حريتهم لأي سبب آخر. المادة (٨٥): من واجب الدولة الحاجزة أن تتخذ جميع التدابير اللازمة والممكنة، لضمان إيواء الأشخاص المحميين منذ بدء اعتقالهم في مبان أو أماكن تتوفر فيها كل الشروط الصحية وضمانات السلامة، وتكفل الحماية الفعالة من قسوة المناخ وآثار الحرب. ولا يجوز بأي حال وضع أماكن الاعتقال الدائم في مناطق غير صحية، أو أن يكون مناخها ضاراً بالمعتقلين. وفي جميع الحالات التي يعتقل فيها أشخاص محميون بصورة مؤقتة في منطقة غير صحية، أو يكون مناخها ضاراً بالصحة، يتعين نقلهم بأسرع ما تسمح به الظروف إلى معتقل لا يخشى فيه من هذه المخاطر. ويجب أن تكون المباني محمية تماماً من الرطوبة، وكافية التدفئة والإضاءة، وبخاصة بين الغسق وإطفاء الأنوار. ويجب أن تكون أماكن النوم كافية الاتساع والتهوية، وأن يزود المعتقلون بالفراش المناسب والأغطية الكافية، مع مراعاة المناخ وأعمار المعتقلين وجنسهم وحالتهم الصحية. وتوفر للمعتقلين لاستعمالهم الخاص نهاراً وليلاً مرافق صحية، مطابقة للشروط الصحية، وفي حالة نظافة دائمة. ويزودون بكميات من الماء والصابون كافية لاستعمالهم اليومي ونظافتهم وغسل ملابسهم الخاصة، وتوفر لهم المرافق والتسهيلات اللازمة لهذا الغرض. كما توفر لهم المرشات (الأدشاش) أو الحمامات. ويتاح لهم الوقت اللازم للاغتسال وأعمال النظافة.

وعندما تقتضي الضرورة في الحالات الاستثنائية والمؤقتة، إيواء نساء معتقلات لا ينتمين إلى وحدة أسرية في المعتقل نفسه الذي يعتقل فيه الرجال، يتعين بشكل ملزم تخصيص أماكن نوم منفصلة ومرافق صحية خاصة لهن.

المادة (٨٦): تضع الدولة الحاجزة تحت تصرف المعتقلين، أياً كانت عقيدتهم، الأماكن المناسبة لإقامة شعائرهم الدينية.

المادة (٨٧): ما لم تتوفر للمعتقلين تسهيلات أخرى مناسبة، تقام مقاصف (كنتينات) في كل معتقل، لتمكينهم من الحصول بأسعار لا تزيد بأي حال عن أسعار السوق المحلية، على الأغذية والمستلزمات اليومية، بما فيها الصابون والتبغ، التي من شأنها أن توفر لهم شعوراً متزايداً بالحياة والراحة الشخصية.

تودع أرباح المقاصف في صندوق خاص للمساعدة، ينشأ في كل معتقل ويدار لصالح المعتقلين الموجودين في المعتقل المعني. وللجنة المعتقلين المنصوص عنها في المادة ١٠٢ حق الإشراف على إدارة المقاصف وإدارة هذا الصندوق.

وفي حالة تصفية أحد المعتقلات، يحول الرصيد الدائن للصندوق إلى صندوق المساعدة الخاص بمعتقل آخر يوجد به معتقلون من نفس الجنسية أو، في حالة عدم وجود مثل هذا المعتقل، إلى صندوق مركزي للمساعدة، يدار لصالح جميع المعتقلين الذين لا يزالون خاضعين لسلطة الدولة الحاجزة. وفي حالة الإفراج العام، تحفظ هذه الأرباح لدى الدولة الحاجزة، ما لم يتم اتفاق يقضي بخلاف ذلك بين الدول المعنية.

المادة (٨٨): تنشأ في جميع المعتقلات المعرضة للغارات الجوية وأخطار الحرب الأخرى، مخابئ مناسبة وبعدد كاف لتأمين الحماية اللازمة. وفي حالات الإنذار بالغارات، يسمح للمعتقلين باللجوء إليها بأسرع ما يمكن، باستثناء المعتقلين الذين يشتركون في حماية أماكنهم من هذه الأخطار، وتطبق عليهم أيضاً أي إجراءات وقائية تتخذ لمصلحة السكان.

يجب أن تتخذ الاحتياطات الكافية في المعتقلات لمنع أخطار الحريق.

نساء نوبل

للكاتب المصري خالد محمد غازي

صدر حديثا عن "وكالة الصحافة العربية" في القاهرة، خصصه الكاتب لإلقاء الضوء على النساء المبدعات، اللواتي فزن بجائزة نوبل، وعلى البحث في السمات والخصائص الحياتية والثقافية التي من الممكن أن تكون قد جمعتهن تحت مظلة الجائزة.

يجد الكاتب غازي في "نساء نوبل" الكتاب الدراسة، أن ثمة مبررات وضرورات جامعة، تتجلى من خلال استقراء السيرة الذاتية لكل النساء المبدعات، شاعرات وروائيات ممن كان لهن نصيب مع نوبل.

لا بد من الإشارة أولاً، الى الإصدارات الكثيرة التي منها ما تعتني بفنيتها ومهاراتها اللغوية وصياغاتها الإبداعية، ومنها ما يكتفي بالمعلومة البسيطة في حدود اللغة التي لا تقل بساطة، بهذا المعنى، "نساء نوبل" يقدم مهارات معرفية تتيح للقارئ التعرُّف، وإن في حدود معقولة، أرشيفية إلى حد ما، مع بعض الاجتهاد الذاتي للكاتب، على مبدعات نوبل من دون مبدعيه. هذا الكشف على المبدعات، ليس من مجرد التخصيص، بل في رغبة الكاتب إلى دراسة العوامل المشتركة التي تجمع بينهن، والتركيز على هذا الأمر، من دون أن تأخذ دراسته، تشعباتها التي تعيق فهم الموضوعة الواحدة.

من صور الاضطهاد، وعلى تباين هذه الصور، بدأ غازي بحثه، متناولاً سيرة كل مبدعة على حدة، عارضاً إلى المبدعات التسع اللواتي حصلن على جائزة نوبل" حتى عام ٢٠٠٤، متناولاً جوانب من تأثير الاضطهاد عليهن، وعلى إبداعهن تالياً.

عرض غازي أيضاً إلى تباينات هذا الاضطهاد الذي جاء أحياناً حياتياً، وعلى شكل إعاقة جسدية، كما حصل مع الفائزة الأولى بجائزة نوبل، وهي الكاتبة سلمى لاجيرلوف، التي أصيبت في التاسعة من عمرها بشلل في الساقين، أقعدها عن مزاولة أية حركة، وأقسرها على نوع من الحياة الخاصة المضنية في وحدتها واغترابها. الوحدة هذه، عاشتها أيضاً الكاتبة الإيطالية غراتسيا داليدا. بيد أنها كانت وحدة جغرافية عانتها في موطنها الإيطالي جزيرة سردينيا، المكان المغلق بحسب الكاتب، حيث عاشت داليدا في وتيرة حياة واحدة، وأسلوب مكرر يؤمن أهله بالشعائر والطقوس السحرية والأساطير، ما حرم الكاتبة من إكمال دراستها، وما دفعها في الوقت نفسه إلى تحقيق الكثير من المنجزات الأدبية، تفويضاً عن قهرها الداخلي.

"سيغريد آندسيت" الفائزة الثالثة، عانت الفقر المدقع والحاجة على حساب رغبتها في تعلُّم الرسم، فانكفأت على الكتابة تكتب في ذلك الفقر، وفي خيبات رغباتها، فكانت إحدى أشهر رواياتها: "السنوات الطوال".

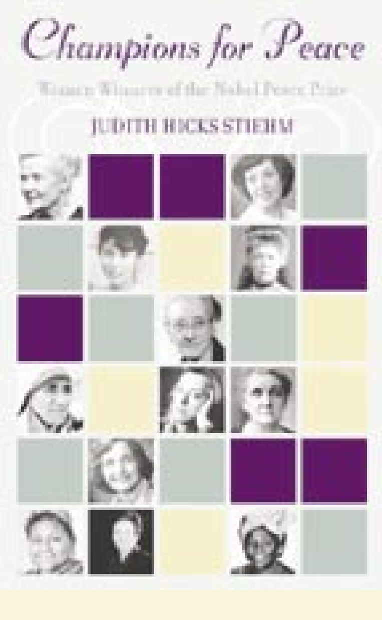

"بيرل باك"، الكاتبة الأميركية والفائزة الرابعة بالجائزة الأشهر في عالم الثقافة والأدب، كتب محمد غازي في مأساتها الشخصية كأم، حيال ابنتها التي أمضت عمرها بأكمله في مؤسسة للرعاية العقلية، محرومة من أمها التي حرمت منها بدورها. الشاعرة التشيلية "غابريلا ميسترال" تكاد تبدو حياتها أكثر عنفاً مأساوياً من حيوات سواها من المبدعات، إذ ألم بها مرض خطير لم يرحمها حتى قضى عليها. وهي شهدت مع معاناة مرضها انتحار الرجال الثلاثة الذين أحبتهم في حياتها، وأولهم انتحار حبيبها الذي سبب لها صدمة جنونية، ليلحق به انتحار ابنها بالتبني، ولتشهد أخيراً انتحار صديقها الوحيد، الأديب النمساوي "ستيفان زيفايج".

نعرض إلى لمحات موجزة عن الفائزات المبدعات اللواتي كتب عنهن غازي باستفاضة، متناولاً شؤون ابداعهن وحياتهن، لنصل إلى الفائزة السادسة "نيلي ساخس" المتصفة قصائدها بالحزن والانهزام، هي التي عانت طويلاً من ملاحقة النازية الألمانية لها، وعرفت قسوة التمييز العنصري، حتى غدا هذا التمييز، قضية إبداعها الأولى.

أيضا ينسحب التمييز العنصري الواقع على ساخس، على زميلتها الأميركية السوداء توني موريسون، التي كتبت رواياتها في افتقاد العلاقة الإنسانية المتوازنة مع الآخر، وفي معاناة بنات جنسها اللواتي يعشن في ظل أزمات نفسية وعنف حقيقي.

الشاعرة "فيسلافا شيمبورسكا" الفائزة التاسعة بجائزة نوبل، وآخر الشاعرات المبدعات لغاية الآن، والتي تأملت في قصائدها، في المصير الإنساني والإغتراب النفسي، بعد أن بقيت متمسكة بفكرتها عن عدم الزواج. تناولت شمبورسكا أيضاً في كتابها، حال المنفى الذي يتوالد بداخلنا، حتى لو كنا في أوطاننا وقالت: "إنه نفي يومي يكبر فينا بطريقة مفجعة".

لا يطرح كتاب غازي "نساء نوبل" قضايا إبداعية شائكة، ولا يدَّعي نصاً ابداعياً أو ما شابه. إنه يكتفي بسرد مبسَّط ومفيد، يتيح للقارئ جانباً من المعرفة تقرَّب إلى حد، بينه وبين مبدعات نوبل.

لم يقتصر الكتاب على السير والمقاربات لحياة وأعمال الكاتبات، بل هو وثّق في التعريف بالجائزة نفسها، وفي قوانينها وشروطها ومسلماتها، وفي بعض الشكوك التي تطالها من هنا وهناك، وعرض أيضاً إلى سيرة حياة ألفرد برنهارد نوبل مؤسسها، والذي جعلت على اسمه، ثم إلى المؤسسة في أسرارها غير الشائعة تماماً، وإلى العلاقة بينها وبين الأكاديمية السويدية.

عبوديّاتنا المختارة

رجاء بن سلامة

الحوار المتمدن – العدد: ٢٠٥٩ – ٢٠٠٧ / ١٠ / ٥

من الأطياف المرفرفة التي ستظلّ تحوم بنا طيف لابواسّي La Boétie، ذلك الفتى الفرنسيّ الذي كتب سنة ١٥٤٨، وهو لم يبلغ سنّ العشرين، مقالة في "العبوديّة المختارة". فضْل لابواسّي هو أنّه نبّه النّاس في زمانه، وينبّهنا اليوم إلى ما نميل إلى الغفلة عنه، وهو أنّ للضّحيّة الباكية أو المتباكية قسطاً من المسؤوليّة في نظم الاستبداد، وفي الكثير من سيناريوهات العنف المتكرّر. نبّهنا إلى ذلك بلغة بسيطة فريدة، فيها الكثير من حميّة الشّباب وتوهّج الفكر، وفيها شيء من الغضب، عندما يكون الغضب طاقة مولّدة للتّفكير، لا مجرّد "هوى" من الأهواء التي تحول دون التّفكير.

أدهش كتيّب لابواسي النّاس وشدّهم على مرّ العصور، لأنّه يتجاوز السيّاق التّاريخيّ الذي أراد بعضهم اختزاله فيه، وهو سياق احتجاج البرجوازيّة النّاشئة على إكراهات النّظام الإقطاعيّ الأوروبّيّ، ففي كلّ نصّ نابع من شوق تترجمه الكتابة، يوجد بالضّرورة بعد يتجاوز مقتضيات التّاريخ والسّياق، كثيراً ما تضيّعه المقاربات المستلهمة من الماركسيّة. وربّما تمثّل فكرة العبوديّة المختارة اليوم، أداة مهمّة لتحليل دوائر الاستبداد وأشكاله المختلفة، أو ربّما تمثّل منفذاً لإدخال نفحة من الهواء الجديد على طرحنا لإشكاليّات السّلطة والهيمنة لا في المستوى السّياسيّ فحسب، بل في مستويات أخرى.

ولقد أصاب لابواسّي المقتل عندما قلب النّظرة السّائدة للهيمنة، مبيّنا أنّ العبد هو الذي يبني في خياله السّيّد ويسلم إليه مقاليد نفسه في واقعه، وليس السّيّد الذي يتغلّب على مصارعه فيحوّله إلى عبد كما في الجدليّة الهيجليّة الشّهيرة. يقول لابواسي حسب التّرجمة العربيّة البديعة التي خصّه بها مصطفى صفوان (صدرت سنة ٢٠٠٥) : "من أين له (الطّاغية) العيون التي يتبصّص بها عليكم إن لم تقرضوه إياها؟ وكيف له بالأكف التي بها يصفعكم إن لم يستمدّها منكم؟ ومن أين له بالأقدام التي يدوسكم بها إن لم تكن من أقدامكم؟ كيف يقوى عليكم إن لم يقو بكم؟ كيف يجرؤ على مهاجمتكم لولا تواطؤكم معه؟".

ولكن لا حدّ لإمكانيّات التّأويل والتّصريف التي يفتحها حدس لابواسّي هذا في تفسير إماتة الشّوق إلى الحرّيّة والاستكانة إلى الآخر. فما العبوديّة المختارة سوى السّادومازوشيّة الممارسة على نطاق اجتماعيّ وسياسيّ في عصرن، هذا الذي يعدّ عصر إنسان الجموع سليب الإرادة، وفي السّياق العربيّ الرّاهن الذي لا يعيش فيه العربيّ عبوديّة البضاعة والصّورة والاستهلاك المعولم فحسب، بل يعيش عبوديّات أخرى: عبوديّة تخضعه إلى أنظمة تحتكر السّلطة والثّروة ولا يبتعد زعماؤها كثيراً عن صور الطّغاة كما رسمها لابواسّي منذ حوالي أربعة قرون ونصف، وعبوديّة تخضعه إلى رجال الدّين، في دين ليس فيه كنيسة ولا "بابا"، ولكن كلّ جماعة فيه وكلّ فرد يمكن أن ينصب نفسه كنيسة وبابا.

يمكن أن يفيدنا لابواسّي في تعرية لعبة عبادة "الواحد"، الذي "يكفي النّطق باسمه لإيقاع الفتنة والسّحر" كما يقول، الواحد الذي نجعله فوق القانون وفوق كلّ شيء، والذي لا نكتفي بعبادته، بل نعيد إنجابه، أو نؤبّد النّظام الذي يعيد إنجابه. فالسّؤال الذي يمكن أن نطرحه على أنفسنا، ليس فحسب: لماذا نواصل إحلال من نولّيهم أمورنا محلّ الآلهة التي تحاسبنا وتعاقبنا، دون أن نحاسبها ونعاقبها، بل: لماذا ينهل الكثير من معارضي عبادة الأشخاص من المعين الاستبداديّ والجموعيّ نفسه، فيخلقون في دوائرهم الخاصّة زعماء آخرين، يستولون على سدّة الحكم في الدّائرة الضّيّقة، بحيث تفقد مطالبتهم بالدّيمقراطيّة كلّ مصداقيّة، وتفقد تنظيماتهم كلّ طابع مؤسّسيّ مدنيّ؟ لماذا تتحوّل كلّ تجارب الحرّيّة الجميلة إلى بوتيكات لقضاء المصالح وبناء التّحالفات وإنتاج "الواحد" المتألّق في صيغة مفردة أو متعدّدة، المتألّق بمجرّد النّطق باسمه أو عرض صورته؟

وهناك أسئلة أخرى من وحي لابواسّي يمكن أن نطرحها : لماذا تتواصل سلطة رجال الدّين على النّفوس والعقول رغم ما اتّضح من خواء فتاواهم وصغر نفوسهم وعقولهم في الأغلب الأعمّ؟ ألم تعل أصوات المكفّرين بصمتنا وخوفنا؟ ألم نشلّ أيدينا لنساعدهم على توجيه أصابع الاتّهام نحونا كما في صورة لابواسي؟ إذا كان غير المؤمن لا ينهض بعبء "كفره"، بالمعنى الضّيّق الأوّليّ للكلمة، أي عدم إيمانه، فيتكلّم لغة المؤمنين، ويتظاهر بالعبادة مثلهم، ويحشر نفسه في زمرتهم، ويبسمل ويحوقل مثلهم، ولا يريد أن يحلّ في موقع غير المؤمن الذي هو موقعه، ألا يترك المجال لمن يتّهمه بما هو عليه في حقيقته، أي لمن يكفّره؟ أليس جهر غير المؤمنين بمعتقداتهم، هو إحدى الوسائل المدنيّة الرّاقية لمواجهة التّعصّب والأصوليّة، التي لم تنتشر إلاّ لأنّها وجدت السّاحات قفراء صامتة؟ ويسمح لنا لابواسّي بتعرية لعبة احتمال ما لا يحتمل وبطرح أسئلة من هذا القبيل: لماذا تحتمل النّساء ما لا يحتملنه، وتدافع الكثيرات عن خصوصيّات تأسرهنّ وتفقدهنّ ذواتهنّ وفرادتهنّ ووجوههنّ؟ لماذا ينتشر حجاب النّساء وهو الوسم الدّالّ على عبوديّتهنّ العتيقة، ويتحوّل إلى علامة على التّحرّر والإرادة الشّخصيّة؟ لماذا تواصل النّساء الالتحاف بالسّواد في حرّ القيظ ولماذا يواصلن جرّ عباءاتهنّ وخمرهنّ كما جرّ المسيح صليبه؟

تبقى صيحة لابواسي الشّابّ جديدة متجدّدة، رغم القرون الطّويلة التي تفصلنا عنه، وأهمّ دليل على ذلك عودة بعض المحلّلين النّفسانيّين إلى هذا الكتاب، لينظروا إلى العبوديّة المختارة على أنّها تنظيم مرضيّ يوجد في الكثير من الأبنية الذّاتيّة، ويتجسّد في الكثير من المصائر الفرديّة والجماعيّة. فهذا الكتاب حسب آخر دراسة من هذا القبيل (عياديّة العبوديّة، جاك فليسيان، باريس، ٢٠٠٧) "يربط بين السّياسيّ واللاّشعور، فاتحاً الباب لإيطيقا الشّوق"، لأنّ الحرص على خدمة الآخر في نطاق العبوديّات المختارة، ليس شوقاً للذّات، "بل استعمالاً لما بقي لها من متعة لكي تضمن متعة الآخر". فلا يوجد أمر لا يحتمل، إلاّ وتوجد لعبة أحد أطرافها يحتمل ما لا يحتمل، ويكلّف نفسه ما لا طاقة له به، خدمة لآخر خياليّ أكثر منه رمزيّا، وهو في ذلك إمّا يتظاهر بالشّكوى ويستمتع بها، أو يعلن أنّ قدره المحتوم أو منيته وضالّته واجب احتمال ما لا يطاق، والنّتيجة في كلتا الحالتين هو أنّه يغترب عن ذاته، ويغطّي ما لا طاقة له به بكوكبة خطابات الواجب والهويّة والوفاء الخادع، ويواصل بناء صروح العادة، وهي أوّل سبب من أسباب العبوديّة المختارة حسب لابواسّي. الإنسان يولد حرّاً نعم، ولكن علينا أن نضيف إنّه يولد وبين جوانحه شوق دفين إلى الحرّيّة، والعبوديّات المختارة هي كلّ ما تراكم من حجُب، تحول دون الوعي بهذا الشّوق ودون مسايرة حركته.

قصائد الى غزة

روز شوملي مصلح

(١)
متى تخاف أمي

تنبح الكلاب ليلاً
تقول أمي :لا نخف
الكلاب تنادي بعضها
يسقط نجم
تقول أمي: لا تخف
هذا عمر مضى
تمر طائرة
تخترق حجر الصمت
ترتعش أمي
تتذكر لحظات الموت
ثم تبكي مثل طفل صغير.

(٢)
لنمت قليلاً

ربما تكون هذه قهوتي الأخيرة
وصوت العندليب موسيقاي الأخيرة
فلنمت قليلاً هذا اليوم
أمامنا غداً موت طويل.

(٣)
ربة الشعر أغيثيني

أنظر إلى أبي الذي في السماوات
فأرى قمراً أعياه الشحوبُ لهول ما رأى.
من جنين إلى رفح
نكتب جراحنا
نقرأ جراحنا
نقطّر الألم فيصبح حبرنا المسكون.
أه أيتها الأم التي أعياها السواد
كيف أكتب قصيدتك ولا أضيّع قطرة من الألم؟
ربة الشعر
أريد لمسة من سحرك كي
أكتب قصيدة المرأة التي
عرفت معنى الخلق
وقبل لحظة النضج،
يتربع صدى الموت
كي يخطف منها وقعَ الحياة
ربة الشعر، بربك
أغيثيني.

صحتك

الوقاية والإسعافات الأولية من الفسفور الأبيض

إعداد: تهاني عبد

المميزات الكيميائية للفسفور الأبيض

الفوسفور كذرة مستقلة لا تتواجد في الطبيعة، بل نجدها خصوصاً في جزيئات الفوسفور الأبيض والأحمر والفوسفات كذلك.

الفوسفات يدخل في التركيب الإحيائي لأغلب الكائنات الحية، ويدخل في تركيب المورتات، في حين يعتبر الفوسفور الأبيض مادة خطرة على الأحياء، ودخولها إلى جسم الإنسان عبر التنفس أو لمسه للجلد، يعرض الحياة لخطر الموت.

التفاعلات الكيميائية

عند تواجد الفوسفور الأبيض في الهواء، فهو يحترق تلقائياً مع الأكسجين، لينتج بينتوكسيد الفسفور حسب هذه المعادلة: $P_4 + 5O_2 - P_4O_{10}$، وقد ينتج مواد أخرى حسب ظروف التفاعل.

وبخصوص بينتوكسيد الفسفور فهو يعتبر مسترطباً قوياً، لهذا فهو يتفاعل مع أي جزيئة ماء مجاورة له، ونتيجة التفاعل تنتهي بإنتاج قطرات من حمض الفوسفوريك.

$$P_4O_{10} + 6h_2O - 4H_3PO_4$$

ويكون احتراق الفسفور الأبيض مع الأكسجين بتواجد مواد أخرى، خصوصاً المؤكسِدة كالكبريت مثلاً، احتراقاً قوياً وانفجارياً.

الوقاية والإسعاف الأولي

* الحبيبات المنصهرة من هذه المادة، قد تنغمس في جلد الضحية، منتجة حروقاً متعددة وعميقة وبأحجام مختلفة، ومن المهم أن نعلم هنا أن هذه الحبيبات ستستمر في الاشتعال، ما لم يتم عزلها عن أكسجين الهواء، عبر غمرها بالماء أو عزلها عن الهواء باستخدام الوحل أو قماش مبلول. من الضروري جداً في هذه الحالة إبقاء جزيئات الفسفور معزولة عن الهواء طيلة الوقت، حتى لا تشتعل وذلك إلى أن تتم إزالتها.
* يمكن إزالة الفسفور الملتصق بالجلد، باستخدام سكين أو عصا، أو عبر حكها بقطعة قماش مبلولة.
* استخدام الكمامات يساهم في الحماية من دخان الفسفور الأبيض.
* إذا أصابت هذه المادة الملابس، فيجب خلعها بسرعة قبل وصول المادة إلى الجلد.

الإسعاف الأولي

* عند اندلاع حريق، استخدم رذاذ الماء أو الرمل المبلول، ومن الضروري الابتعاد عن المواد سريعة الاشتعال. من الجدير بالذكر أن الفسفور الأبيض قد يعود للاشتعال تلقائياً بعد إطفاء الحريق.
* عند الاستنشاق، محاولة استنشاق الهواء النقي والراحة، وقد يلزم عمل تنفس صناعي، ثم المراجعة الطبية بأسرع وقت.
* عند تعرض الجلد، يشطف الجلد بالكثير من الماء، وتزال الملابس المتضررة، مع استمرار الشطف بالماء بعد ذلك. ويلزم ارتداء قفازات أو نحوه عند عمل الإسعاف الأولي. والمراجعة الطبية بأسرع وقت.
* عند تعرض العين، الشطف بالكثير من الماء لعدة دقائق، وينصح بإزالة العدسات اللاصقة إن كان بالإمكان القيام بذلك بسهولة. والمراجعة الطبية بأسرع وقت.
* عند ابتلاع المادة، يجب العمل على التقيؤ عمداً (فقط في الشخص الواعي)، ويجب ارتداء قفازات عند محاولة التقيؤ عمداً، وشطف الفم بالماء والراحة. والمراجعة الطبية بأسرع وقت.

هو و هي

على أجنحة الخوف

نجوى غانم

لا تخافوا يا صغاري، فإذا ما متم ستصبحون عصافير في الجنة. على جوانح أمنية لا يحلم بها سوى أطفال فلسطين، حلق الصغار الخمسة خلف أمهم، التي أخذت تسابق صوت المدافع والصواريخ التي انهالت على منطقة المغراقة غرب قطاع غزة، متجهة صوب بيت أهلها في النصيرات التي تبعد عدة كيلو مترات عن بيتها الذي وقف بصمود أمام المدافع والصواريخ التي دمرت معظم البيوت حوله، إذ لا يستطيع الفرار من مكانه فوقف ينظر بسخرية إلى الدبابات التي بدأت تقترب منه بعد أن فر أهله خشية الهلاك تحت ركام ذكرياتهم الجميلة فيه.

الواحدة بعد منتصف الليل كان موعد منى الأخير مع بيتها وذكرياتها، تحت جنح الظلام انطلقت تركض صوب ما تظنه اللاموت واللادمار، تحمل طفلتها الصغرى بين ذراعيها، وتصنع من أطراف ثوبها أيدي إضافية يتشبث بها صغارها الآخرون، الظلام يحول دون استيضاح الطريق، لكن خوفها عليهم يشرع أمامها طرق سحرية، تعلم أن الموت ليس بعيدا قد يأتي من أي صوب، وفي أي لحظة، مطلا عليها من أي زقاق، أو من خلف أي نجمة، أو ربما يخرج من تحت قدميها اللتين يبسهما الخوف وأعياهما الركض.

صوت المدافع يقترب، يركض خلفهم، يلفح أجسادهم بلهيبه، فينسيهم برد كانون الثاني، ويحبس أنفاسهم اللاهثة خلف الأمان، ويعثر أقدامهم التي لا زالت تحلم بالحياة.

تسرع هي في ركضها فيسقط الصغار أرضا، حيث يعجزون عن مواكبة سرعتها، تتوقف للحظات لتساعدهم على النهوض وتحفزهم على الاستمرار في التقدم ومضاعفة سرعتهم، وتذكرهم بكونهم عصافير وعليهم أن يحلقوا، يتحمس الصغار ويندفعون بأقصى ما لديهم من سرعة، صوت انفجار ضخم يصم آذانهم، ووهج هائل يعمي عيونهم للحظات، يعاودون بعدها الرؤية، لكن هذه المرة لا يرون أمهم ولا يجدون أطراف ثوبها ليتمسكوا به وبالرغم ذلك لا يتوقفون بل تزداد سرعتم، فهم لا يريدون الموت في هذه اللحظات، بل ترنو عيونهم لحياة جميلة، حتى لو لم تكن في بيتهم أو في أحضان أمهم، إذ يكفيهم حضن الوطن الأم، الذي وإن أطبق عليهم حتى الموت يبقى حنونا.

يصدر هذا العدد من صوت النساء بتمويل من مؤسسة الدياكونيا السويدية

This issue of the Voice of Women is funded by Diakonia Foundation

هموم عادية!!؟

بقلم: عطاف يوسف

P.L.O.... ISRAIEL NO

أشك أن هناك فلسطيني واحد، داخل الوطن وخارجه، لم يردد هذا الشعار، سوى المعادين لمنظمة التحرير وللقضية الوطنية الفلسطينية، لآسباب أيدلوجية وشخصية.

" نعم لمنظمة التحرير ولا لإسرائيل " شعار طالما رددناه منذ طفولتنا، وعلمناه لأبنائنا قبل أن نعرف ما معنى تلك الأحرف، التي أجدنا لفظها بالإنجليزية قبل أن نفك الحرف، وكذلك فعل أبناؤنا.

طالما شعرنا أن "م.ت.ف" هي ممثلة لأحلامنا وطموحاتنا وأهدافنا، في العودة وتقرير المصير، والحياة بحرية على أرضنا كما باقي الشعوب، وأنها الأم والأب الروحي لنا، سواء كنا تحت الاحتلال أم في الشتات.

في الغربة كانت مكاتب منظمة التحرير ملجؤنا عندما تتقطع بنا السبل، وعندما نحجز في المطارات، فلم أتواجد شخصياً في أي دولة عربية كانت أم أجنبية، إلا واضطررت للتوجه إلى مكتب منظمة التحرير لحل بعض الإشكالات.

أول تعامل كان لي مع مكتب لمنظمة التحرير في الجزائر، بعد الافراج عني في صفقة تبادل الأسرى عام ١٩٨٣. كان المكتب بمثابة بيتي الذي لم أعد إليه، وكان منذر الدجاني الذي أصبح أول سفير فلسطيني هناك، بعد اعتراف الجزائر بالدولة الفلسطينية فور الإعلان عنها عام ١٩٨٨ من الجزائر، وزوجته بمثابة أم وأب لي، ولن أنسى طوال عمري كم كانا لطيفين وخدومين وكم سهلا علينا الغربة بعد النفي، رغم اختلافاتنا التنظيمية. في لندن كذلك عندما واجهت الصعوبات أثناء مرافقتي لزوجي في رحلته العلاجية، لم أجد من ألجأ إليه سوى مكتب منظمة التحرير، واستقبلني السفير هناك وحل جميع مشكلاتي في أقل من ٢٤ ساعة. في تونس وفي نيروبي وفي الإمارات العربية وعمان، كانت مكاتب منظمة التحرير ولا زالت بيتاً لكل الفلسطينيين.

ربما يقول البعض أن هذا حدث في الماضي، وأن منظمة التحرير تغيرت الآن، ولم تعد كالسابق. وأنا اقول أن ذلك صحيح، فالمنظمة ضعفت وتغيرت، وربما تكون قد أصابتها بعض الأمراض القاتلة، ولكن هل يعني ذلك أن نطلق عليها رصاصة الرحمة؟ أم نحاول علاجها وإعادة قوتها ؟حتى ولو كان العلاج يحتاج إلى البتر، ومها كلف من ثمن، فهل نستسلم بهذه البساطة ونقول، بما أن منظمة التحرير أصبحت ضعيفة ومريضة فيجب قتلها وإنشاء بديل عنها.

تعرضت منظمة التحرير لمؤامرات عديدة لمحاولة شطبها وفرض الوصاية على الشعب الفلسطيني، وكل المحاولات من كل الجهات باءت بالفشل، لأن التفاف الشعب الفلسطيني حولها في الداخل والخارج، كان أقوى من كل هذه المؤامرات. وهذه المرة لن تكون مختلفة عن ماسبقها، فلم تجد دعوة خالد مشعل مؤيدين كثيرين لها، حتى في صفوف حركة حماس والجبهة الشعبية القيادة العامة، الجميع رفض الفكرة، والجميع يرغب في إصلاح وإعادة بناء منظمة التحرير على أسس جديدة، تفتح الباب لجيع ألوان الطيف الفلسطيني بالانضمام لها، ومن يفضل البقاء خارجها فهذا شأنه، أما البحث عن بدائل جديدة تحتاج لعشرات السنوات لتنجز ما أنجزته منظمة التحرير من اعتراف عالمي ودولي بها، فهي ممثلة في الأمم المتحدة وجميع المنظمات الدولية، والتنكر لكل الانجازات التي قامت بها المنظمة، هو ضرب من الجنون والعبث بمصير الشعب الفلسطيني وقضيته الوطينية، ويجب أن يتوقف وعلى الفور.

الانتخابات اللإسرائيلية .... لا جديد

النتائج الأولية للانتخابات الإسرائيلية لم تكن مفاجئة، ولن ينتج عنها أي تغيير في السياسة الإسرائيلية إلا نحو الأسوأ، ففوز حزب كاديما بفارق ضئيل، سيصعب عليه مهمة تشكيل الحكومة، فهو مضطر للتحالف مع اليلكود بزعامة " نتن ياهو " أو التحالف مع حزب العمل وإسرائيل بيتنا وشاس اليميني، وبعض الكتل اليمينية الأخرى، للحصول على أغلبية لتشكيل الحكومة، وفي أي من الحالتين، ستكون الحكومة الإسرائيلية القادمة حكومة يمينية متطرفة، ومن المؤكد أن تسند حقيبة وزارة الحرب الإسرائيلية ل "ليبرمان" العنصري، إذا تحالف كاديما مع إسرائيل بيتنا، وهو الذي ينادي بإبادة العرب، أو لأي متطرف آخر من حزبة أو حزب كاديما أو شاس أو العمل، فايهود باراك من حزب العمل، وعلى يده تمت الجازر في قطاع غزة، التي لا زالت الدماء التي سالت فيه ساخنة ولم تجف بعد.

لذلك، علينا أن لا ننتظر تغييراً أو خيراً من الحكومة الإسرائيلية القادمة، إلا إذا تعرضت لضغوط أمريكية وعالمية قوية، لتجبرها على الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني، وتطبيق قرارات الشرعية الدولية.

itaf1957@yahoo.com

للإتصال أو للمراسلة

طاقم شؤون المرأة

تطبع في مطابع الايام

المشرفة العامة : روز شوملي مصلح

المحررة المسؤول: لبنى الأشقر

شارع الإرسال – مركز عواد

ص.ب : ٢١٩٧ رام الله

هاتف : ٢٩٨٦٤٩٧ – فاكس: ٢٩٦٤٧٤٦

بريد الكتروني: (watc__media@palnet.com)

الآراء الواردة في الصحيفة تعبر عن رأي اصحابها